الفصل الرابع

خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

obeikandl.com

obeikandl.com

بيعة أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه

لما قتل عثمان رضي الله عنه اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، ومنهم طلحة والزبير، فأتوا علياً فقالوا له: إنه لابد للناس من إمام، قال: لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به، فقالوا: ما نختار غيرك، وترددوا إليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك: إنا لا نعلم أحداً أحق به منك، ولا أقدم سابقة، ولا أقرب قرابة من رسول الله ﷺ.

فقال: لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك، قال: ففي المسجد، فبايعه الناس، وكان أول من بايعه طلحة بن عبيد الله، فقال قائل: إنا لله، أول من بدأ بالبيعة يد شلاء، لايتم هذا الأمر.

«وهذا جهل من هذا القائل: لأن يد طلحة أعظم بركة، وأندى عَطاء مِن يد مَن ليس مثله؛ لأنها يد دافعت عن رسول الله ﷺ يوم أحد وحمته من السهام»[1].

ثم بايعه الزبير، وقيل إنهما بايعاه كرهاً، وهذا كلّه لا يصح، فقد ثبت أنه عندما جاء الأحنف بن قيس إلى طلحة والزبير ـ قبيل مقتل عثمان ـ فقال لهما: لا أرى هذا ـ أي عثمان ـ إلا مقتولاً، فمن تأمراني أن أبايع؟ فقالا: علياً، فقال: أتأمراني بذلك وترضيانه لي؟ فقالا: نعم.

تردده رضي الله عنه في قبول الخلافة وعزوفه عنها:

بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ألقت الفتن بهمومها وكلكلها على الدولة الإسلامية، وسادت في المدينة حالة من الفوضى، كان فيها المتآمرون سادة الموقف، فبقيت

(١) عبد الستار الشيخ: علي بن أبي طالب، ص ١٤٠.

المدينة بعد مقتل عثمان خمسة أيام، وأميرها الغافقي بن حرب العكي، «وعرضت الخلافة على عليّ فتردد في قبولها بادىء الرأي، لما وقع من الأحداث الرهيبة على يد الثوار المجرمين الذين قتلوا الخليفة عثمان بوحشية مفزعة، وهم أولاء بالمدينة متمكنون وأيديهم لم يجف عنها دم الشهيد عثمان! فقدر علي كلّ هذه التبعات، وفكرّ وقدّر، فرأى أن كلّ لحظة تمرّ ومنصب الخلافة شاغر، تشكّل خطراً على الإسلام ودولته وأهله، فقبل الخلافة وهي مثخنة بالجراح، مترعة بالمصاعب، لا يقوى على حملها إلا من هو مثل عليّ توكّلاً على الله وثقة به، وشجاعة باهرة في مواجهة الصعاب»[1].

أخرج الحاكم عن قيس بن عبادة، قال: سمعت علياً يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحيي أن أبايع قوماً قتلوا عثمان، وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان لم يدفن بعد، فانصرفوا، فلما رجع الناس فسألوني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة، فبايعت فقالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى.

وما أوضح ما ذكره عليّ ﷺ، لما وطن نفسه على المسير إلى الشام لقتال معاوية ﷺ، حيث يقول: وقد علمتم أيها المسلمون ما فعل الناس بالأمس. وجئتموني راغبين إلي من أمركم حتى استخرجتموني من منزلي لتبايعوني فالتويت عليكم لأبلو ما عندكم، فراددتموني القول مراراً ورادتكم، وتكأكأتم[2] عليّ تكأكؤ الإبل الهيم على حياضها حرصاً على بيعتي، حتى خفت أن يقتل بعضكم بعضاً، فلما رأيت ذلك منكم رويت في أمري وأمركم، وقلت: إن أنا لم أجبهم إلي القيام بأمرهم لم يصيبوا أحداً منهم يقوم فيهم مقامي ويعدل فيهم عدلي،

(١) عبد الستار الشيخ: علي بن أبي طالب، ص ١٤٠.

(٢) في نهج البلاغة: تداككتم، وهما بمعنى، والتداكّ: الازدحام، كأن كلّ واحد يدك الآخر أي يدقه، والهيم أي العطاش، جمع هيماء.

وقلت: والله لألينّهم[1]. وهم يعرفون حقي وفضلي أحب إليّ أن يلوني وهم لايعرفون حقي وفضلي، فبسطت لكم يدي فبايعتموني يامعشر المسلمين، وفيكم المهاجرون والأنصار، والتابعون بإحسان.

وبعد أن يبين لهم تخاذلهم عن نصرته، واختلافهم في بيعته، يقول ـ وهو يشير إلى بيعة الخليفتين من قبله وعدم اختلاف الناس فيهما ـ ما نصّه: ماكانت بيعتي لكم يومئذٍ أوكد من بيعة أبي بكر وعمر، فما بال من خالفني لم ينقض عليهما حتى مضيا ونقض عليّ ولم يف لي؟![2].

وليس أدل على كراهة علي ﷺ لما عرض عليه من أمر الخلافة، مما ذكره الطبرسي، من خطبة لعليّ، حيث ذكر بيعة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، ثمّ أضاف قائلاً: فلما كان من أمره ما كان أتيتموني، فقلتم: بايعنا، فقلت: لا أفعل، فقلتم: بلى، فقلت: لا، وقبضت يدي فبسطتموها، ونازعتكم فجذبتموها، وتداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى ظننت أنكم قاتليّ وأن بعضكم قاتل بعض، فبسطت يدي فبايعتموني مختارين[3].

ويذكر الطبري أن الناس كانوا يأتون علياً فيختبىء منهم، ويلوذ بحيطان المدينة ـ أي بساتينها ـ فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرّة بعد مرة[4].

ويقول الطبري بعد ذلك: إن الناس أتوا علياً وهو في سوق المدينة، وقالوا له: ابسط يدك نبايعك، قال: لا تعجلوا فإن عمر كان رجلاً مباركاً، وقد أوصى بها شورى فأمهلوا يجتمع الناس ويتشاورون، فارتد الناس عن عليّ.

ثم يقول: فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم أهل مصر: أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامة، وأمركم عابر على الأمة، فانظروا رجلاً

---

(١) لألينهم: أي سأتولى أمرهم، كناية عن الخلافة.

(٢) الشريف الرضي: نهج البلاغة بشرح محمد عبده، ٢/ ٣٠٥، المفيد: الإرشاد، ص ١٣٩، الطبرسي: الاحتجاج، ١/ ١٧٢.

(٣) الطبرسي: الاحتجاج، ١/ ١٦١.

(٤) الطبري: تاريخ، ٢/ ٦٩٩، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٢٧.

تنصبونه، ونحن لكم تبع، فقال الجمهور: عليٌ بن أبي طالب نحن به راضون[1].

فقال علي: دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجة[2]، قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً[3].

إن هذه النصوص التي اقتطعناها من أمّات مصادر التاريخ، والتي تعبّر بوضوح عمّا جرى في تلك الفترة العصيبة من تاريخ المسلمين، لتؤكد أن بيعة علي رضي الله عنه كانت كبيعة إخوانه الخلفاء الراشدين من قبله، جاءت على قدرها، وفي إبانها، وأنها مستمدة من رضا الأمة في حينها، لا من وصية مزعومة، كما يدّعي الواهمون الحائدون عن طريق الحق[4].

أبرز الأحداث التي حصلت في خلافته رضي الله عنه

المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه:

ليس ثمّة من ريب في أن الفتن التي ألقت بظلالها على الدولة الإسلامية في ذلك الحين، وما جرى من أحداث أليمة مفجعة، قد جرت على خلفيّة مقتل عثمان رضي الله عنه، على أيدي المتآمرين من أهل الريب والفتنة.

فبعد انتهاء هذه الجريمة النكراء، خرج النعمان بن بشير رضي الله عنه، ومعه قميص عثمان مضمخاً بدمه، وأصابع نائلة بنت الفرافصة التي أصيبت حين كانت تدافع عن زوجها بيدها، فقطعت مع بعض الكفّ؛ فورد به على معاوية بن أبي سفيان

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٧٠٠.

(٢) لا تثبت فيه العقول: أي لا تصير له ولا تطيق احتماله، وأغامت: غطيت بالغيم، والمحجة: الطريق.

(٣) الشريف الرضي: نهج البلاغة بشرح محمد عبده، ١/ ١٢٥، الطبري: تاريخ، ٢/ ٩٦٩ و ٧٠٠، وابن الأثير: تاريخ، ١/ ١٧٢.

(٤) عبد الستار الشيخ: علي بن أبي طالب، ص ١٤٤ بتصرف.

ﷺ بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلّق الأصابع في كمّ القميص، وندب الناس إلى الأخذ بالثأر من قتلة عثمان، الذين كانوا لا يزالون يسيطرون على المدينة المنورة، وتابعه على ذلك نفر من الصحابة، منهم: عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو أمامة الباهلي، وعمرو بن عبسة ﷺ[1].

أمّا في المدينة، فقد انقسم الناس إلى ثلاثة فرق: فرقة كانت تطالب بالتعجيل في أخذ القصاص من قتلة عثمان، وفرقه ترى التمهّل في ذلك، حتى يهدأ المتمردون، وتستقيم أمور الدولة حتى لا يجد المتمردون لهم أنصاراً، وفرقة أخرى لزمت الحياد، ولم تستطع أن تتبين وجه الحق حتى تنحاز إلى جانبه.

ففي الوقت الذي كانت فيه المدينة تئن تحت وطأة الجريمة البشعة التي نفذها أهل الرّيب والفتنة بحق الخليفة المظلوم، وبعد أن تمت البيعة لعليّ ﷺ، دخل طلحة والزبير ﷺ ورؤوس الصحابة على عليّ فطلبوا إليه إقامة الحدود، والأخذ بدم عثمان، ومعاقبة أولئك الجناة المجرمين والتنكيل بهم، حتى تستريح منهم الأمة.

ولم يك علي بالذي يجهل خطورتهم على الأمة، ولا يقلّل من شأنهم، لكنه كان يرى التمهّل في هذا الأمر حتى تستقر أمور الدولة، وتقوى شوكتها، وتضعف قوّة المتمرّدين، ويتفرّقوا في قبائلهم، فآنئذ يؤخذون ويقتلون تقتيلاً، ولقد رأى الإمام قوّة بأسهم وكثرة مادتهم وأنصارهم وسيطرتهم على المدينة، فأدرك خطأ الصدام معهم وهم على هذه الحالة[2].

---

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٧٠٢، وابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٩٨، وابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٢٢٨.

(٢) ليس أدلّ على ذلك من قوله لطلحة والزبير وغيرهما من الصحابة، الذين طالبوه بالثأر لعثمان: يا إخوتاه، إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟! ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلاطكم يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟! قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه أبداً إلا أن يشاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، وإن لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض آخذ بها أبداً، إن الناس من هذا الأمر إن حرّك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق، فاهدؤوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا. الطبري: تاريخ، ٢/ ٧٠٢، وابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٠٠، والشريف الرضي: نهج البلاغة، ٢/ ٢١٦.

ولم يكن ثم اختلاف بين أمير المؤمنين علي وبين الفريق الآخر من الصحابة في تطبيق الشريعة وإقامة الحدود، وإنما كان الخلاف في توقيت ذلك، فكان يرى الإرجاء، والآخرون يرون الإسراع في القصاص، والذي حدا بالإمام إلى اتخاذ هذا القرار ما لاحظهُ من كثرة عدد القتلة ومن أيّدهم من جفاة الأعراب، والرعاع من الناس، الذين يَسّمعون لكلّ ناعق، فيصدقون كل إرجاف، وينساقون وراء المكر والخداع.

ورأى الإمام كثرة المتمرّدين وتسلطهم على المدينة، فضاق بهم ذرعاً، فأمر منادياً فنادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه، يا معشر الأعراب! الحقوا بمياهكم.

فأبت السبئية ـ وهم محرّكو الفتنة وقوّادها ـ ذلك، وأطاعهم الأعراب.

وهنا طلب طلحة والزبير من علي أن يأذن لهما أن يأتيا البصرة والكوفة لإحضار قوة كبيرة من الجند، لتضرب على أيدي أولئك المفسدين، وتردّ الأمور إلى نصابها، لأن البصرة والكوفة كانتا مشحونتين بالسلاح والرجال منذ عهد عمر، فلم يرضَ علي بذلك خشية وقوع حرب طاحنة تراق بسببها دماء المسلمين، فاستأذناه بالعمرة، فأذن لهما، فخرجا إلى مكة.

عزل علي رضي الله عنه لولاة الأمصار:

عزم علي رضي الله عنه على تغيير الولاة في الأمصار الإسلامية، ورأى أن يستبدل بهم صحابة حضروا البيعة في المدينة، ليكون أدعى إلى بيعة الناس في تلك البلاد البعيدة، وليجدد بهم عهد الفتوحات، ويفسح المجال أمام العبقريات الأخرى أن تنطلق وتخدم دين الله تعالى[1].

---

(١) وليس كما ادّعى أحد المؤلفين من أن علياً رضي الله عنه «كان يرى في بعض عمال عثمان عدم الصلاحية، فلا يتحمل إثم استمرارهم ولا يرى المداهنة ولا الصبر عليهم» خالد البيطار: علي بن أبي طالب، ص ١٠٤، وقد سبقه العقاد إلى هذا الرأي المنكر فقال وهو يتحدث عن عزل ولاة عثمان ما نصه: «فعزل الولاة الذين استباحوا الغنائم المحظورة، وتمرغوا بالدنيا، وطمعوا وأطمعوا رعاياهم في بيت مال المسلمين،

=

فدخل عليه المغيرة بن شعبة، ﷺ، ونصحه بأن يقرّ عماله على البلاد، وأكد عبد الله بن عباس ﷺ هذه النصيحة، فأشار على الإمام أن يقرّ نوّابه على البلاد، إلى أن تستقيم له الأمور، وأن يقرّ معاوية ﷺ - خصوصاً - على الشام، فأبى عليّ ذلك، وولّى على الأمصار نواباً[1].

عزم علي ﷺ على قتال أهل الشام :

بعد ما جرى من ردّ أكثر عمال علي وامتناع أكثر الأمصار عن البيعة، وخاصة أهل الشام، بسبب تريث أمير المؤمنين في الاقتصاص من قتلة عثمان ﷺ، وقد بعث عليّ إلى معاوية عدداً من الكتب، إلا أنه لم يردّ عليه جوابها، وتكررّ ذلك إلى الشهر الثالث بعد مقتل عثمان، في صفر، ثمّ بعث مُعاوية كتاباً مع رجل من أهل الشام، فدخل به على عليّ، فقال: ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القِوَد، كلهم موتور، تركت سبعين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق! فقال علي: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان. ثم خرج رسول معاوية من بين يدي عليّ، فهمَّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت منهم إلا بعد جهد. وعزم علي على مقاتلة أهل الشام

= وأثاروا على عثمان سخط السواد وسخط الفقهاء المتحرجين والحفاظ الغيورين على فضائل الدين» العقاد: عبقرية الإمام علي، ص ٧٤، ويقول عبد الستار الشيخ معلقاً على هذه الفرية: «وليت هذين الرجلين حددا لنا هذا البعض الذي عنوه، فقد كان من عمال عثمان: أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عامر، ومعاوية، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبد الله بن أبي سرح، وجرير البجلي وغيرهم، فهل يرى هذان الكاتبان عدم صلاحية هؤلاء الأصحاب، وهل هم حقاً تمرغوا في الدنيا كما تبجح العقاد بهذه الفرية القبيحة!! وهذا ابن عباس والمغيرة بن شعبة ينصحان علياً بإقرار العمال حتى تهدأ الأمور، فهل يشيران عليه بغير الصالح الراشد الكفء؟!». علي بن أبي طالب، ص ١٧٧.

(١) بعث عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وعبد الله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر، وسهل بن حنيف على الشام، فأما سهل فإنه رُد من تبوك فرجع إلى علي، وأما قيس فاختلف عليه أهل مصر، فبايع له الجمهور، وامتنعت طائفة حتى يتم الاقتصاص من قتلة عثمان، وتابعهم على ذلك أهل البصرة، وأما عمارة بن شهاب - المبعوث أميراً على الكوفة - فقد صده طليحة بن خويلد غضباً لعثمان، فرجع إلى علي فأخبره.

لرفضهم البيعة، وكتب إلى قيس بن سعد يستنفر الناس لقتالهم، وإلى أبي موسى بالكوفة - وكان قد أرسل إليه بطاعة أهلها ومبايعتهم إلا القليل منهم - وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك، وخطب الناس فحثّهم على ذلك، وعزم على التجهيز، فنصحه ابنه الحسن رضي الله عنه بالعدول عن هذه الخطوة، إلا أنه أصرّ على موقفه، وظلّ مصمماً على القتال، فدفع اللواء إلى ابنه محمد بن الحنفية، بعد أن جهز الجيش معه واستخلف على المدينة قثم بن العباس، ولم يبق إلا أن يخرج من المدينة قاصداً إلى الشام، حتى جاءه ما شغله عن ذلك كلّه.

خروج عائشة أم المؤمنين ومن معها إلى البصرة ودوافعه

بينما كان علي يهمّ بالخروج من المدينة لقتال أهل الشام، إذ أتاه أن جيشاً فيه طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة، قد خرجوا من مكة وتوجهوا إلى البصرة، فقد كان طلحة والزبير استأذنا علياً في العمرة فأذن لهما، فخرجا إلى مكة، وتبعهما خلق كثير، وكان أزواج النبي ﷺ قد خرجن إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل، أقمن بمكة ينتظرن ما يصنع الناس.

فاجتمع بمكة ـ بعد الحج ـ خلائق من الصحابة، وأمهات المؤمنين، وقامت السيّدة عائشة ـ بما لها من مكانة سامقة في نفوس المسلمين ـ تحث الناس على القيام بالمطالبة بدم عثمان، والقصاص من قتلته، ثمّ اتفقوا بعد المشورة على المسير إلى البصرة، لجمع قوة ضاربة من الرجال الذين آسفهم قتل عثمان، فتتعاون هذه القوة مع سلطة الخلافة وجيشها في استئصال شوكة المتمرّدين.

ولم يكن عند طلحة والزبير والسيدة عائشة أدنى ريب ببراءة علي من دم عثمان، وما كان بين الفريقين - عليّ وجيش البصرة - أي دخل أو دغل أو حقد، وكلّ الذي حصل إنما هو للإصلاح وإقامة الحدود، والقصاص من الظالمين.

وسار الناس في ألف فارس بصحبة طلحة والزبير وعائشة، وخرجوا من مكة، وتلاحق بهم آخرون، فصاروا في ثلاثة آلاف[1].

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ٩، وابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٠٧، وابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٢٣١.

واقترب جيش السيدة من البصرة، فكتبت إلى الأحنف بن قيس وغيره من رؤوس الناس بقدومها، فبعث إليها أمير البصرة عثمان بن حنيف رسولين: الصحابي عمران بن الحصين، والتابعي الجليل أبا الأسود الدؤلي، ليعلما ما جاءت به، فلما قدما وسألاها:

ذكرت لهما أنها جاءت للطلب بدم عثمان؛ لأنه قتل مظلوماً في شهر حرام وبلد حرام، وتلت قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وقالت: ننهض في الإصلاح ممّن أمر الله ﷻ وأمر رسول الله ﷺ، الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به، ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره.

وقبل أن نأتي على نهاية هذه الأحداث التي أثبتها المؤرخون في تواريخهم، لا بدّ إلا وأن نفند إحدى أكبر الشبهات التي اتصلت بموقف أم المؤمنين عائشة، إذ كيف يستقيم للمؤرخين أن يرووا في سبب خروج عائشة رضي الله عنها، أنها خرجت للطلب بدم عثمان، ثم يذكرون على لسانها في الرواية نفسها، أنها خرجت للإصلاح بين المسلمين، ولا سيّما أن الذين نصحوها بالخروج كانوا يُعلِّقون الآمال العِراض على خروجها في حسم الخلاف، ولمّ شمل المسلمين، وفي ذلك يقول القاضي أبو بكر بن العربي: «فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم، رجاء أن يرجع الناس إلى أمّهم، فيراعوا حرمة نبيّهم، واحتجوا عليها عندما حاولت الامتناع بقوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ..﴾ ثم قالوا لها: إن النبيّ ﷺ قد خرج في الصلح.

ولما سمع أهل البصرة بخروج طلحة والزبير والسيدة عائشة رضي الله عنهم، انقسموا إلى ثلاثة فرق: الأولى حبّذت خروج السيدة، وانضمت إليها لمعونتها على الإصلاح، والثانية بقيت على ولائها لوالي البصرة عثمان بن حنيف، وأنكرت على السيدة عائشة خروجها، والثالثة اعتزلت الفريقين.

وعزم عثمان بن حنيف أن يمنع جيش عائشة من دخول البصرة، حتى يقدم أمير المؤمنين عليّ، فخرج بالجيش وتقابل مع جيش السيدة بالمربد، وكان جيشها في ميمنة المربد، وجيش ابن حنيف في ميسرته، فتكلم طلحة فندب إلى الأخذ بثأر عثمان والطلب بدمه، وتابعه الزبير فتكلم بمثل مقالته، ثم تكلمت السيدة عائشة فحثت الناس للأخذ بثأر عثمان والاقتصاص من قتلته، فافترق جيش ابن حنيف فرقتين: فرقة ثبتت معه، والأخرى انضمت لجيش عائشة.

قتلة عثمان يهاجمون جيش السيدة عائشة :

في هذه الأجواء التي كان يسودها التوتر، أقبل حُكيم بن جبلة - وكان على خيل ابن حنيف وممّن باشر قتل عثمان - فأنشب القتال، وجعل أصحاب أم المؤمنين يكفّون أيديهم، ويمتنعون من القتال، وجعل حكيم يقتحم عليهم، فاقتتلوا على فم السكة، وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة (بني مازن)، وحجز الليل بينهم، فلما كان اليوم الثاني، قصدوا القتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، إلى أن زال النهار، وقتل خلق كثير من أصحاب ابن حنيف، وكثرت الجراح في الفريقين، فلمّا عضتهم الحرب تداعوا إلى الصلح، ودخل بعض الناس على عثمان بن حنيف قصره، فأخرجوه إلى طلحة والزبير أسيراً ولم يبق في وجهه شعرة إلا نتفوها، فاستعظما ذلك وبعثا إلى عائشة فأعلماها بالخبر، فأمرت أن يخلى سبيله، فأطلقوه.

اعتراض بعض القتلة على الصلح وتصفية أكثرهم :

لم تطب نفوس أهل الفتنة - ممن تورطوا بقتل الخليفة عثمان - بهذا الصلح، فركبوا في جيش قريب من ثلاثمائة، ومقدّمهم حكيم بن جبلة، فبارزوا وقاتلوا، فتصدّى لهم جيش عائشة، فأنهكوهم قتلاً، وقتل حكيم، وضعف شأن جيشه، وتغلب جيش عائشة على البصرة.

ونادى منادي طلحة والزبير في القبائل أن من كان فيكم ممن غزا المدينة

فليأتنا به، فجيء بهم فقتلوا، فما أفلت منه إلا حرقوص بن زهير السعدي، فإن بني سعد قومه منعوه.

واستقرّ أمر البصرة بيد طلحة والزبير ومن معهما من الجيش، فكتبوا إلى أهل الشام بذلك، وحثوهم على النهوض بمثل ما نهضوا به هم من الثأر لدم الشهيد عثمان رضي الله عنه، وكذلك بعثوا إلى أهل الكوفة، وإلى أهل اليمامة، وإلى أهل المدينة.

التقاء علي رضي الله عنه بجيش البصرة وبدء المفاوضات :

لمّا وصل جيش الإمام علي إلى الربذة، وعلم أن جيش عائشة قد فاته، صمّم على المضي إلى البصرة، فلقيه في الربذة عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وطلب منه ألا يخرج فأبى، وكذلك تمنّى الحسن بن علي على أبيه ألا يخرج، فأبى أيضاً، مؤكداً أنه إنما يريد الإصلاح.

وبعث علي إلى أهل الكوفة يستنفرهم لنصرة الحق، ويلفت أنظارهم إلى ما يبتغيه من الإصلاح.

ولما اقترب بجيشه من الكوفة، جاءه الخبر بما وقع من الأمر في البصرة على جليّته، حتى إذا انتهى إلى (ذي قار) أتاه عثمان بن حنيف على حالته المزرية تلك، وليس في وجهه شعرة.

وهناك في الكوفة، قام الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ينصح الناس ألاّ يشاركوا في الفتنة، وحدّثهم بما سمعه من النبي ﷺ عن الفتن[1].

وقام رسل الإمام علي ـ ومنهم الحسن وابن عباس وعمار بن ياسر ـ يدعون الناس لنصرة الخليفة الذي بايعه المهاجرون والأنصار، ليقوى بالناس ويقيم الحدود، ويضع الأمور في مواضعها، وكان ممّن تكلّم القعقاع بن عمرو، فأيد رأي

---

(١) عن أبي موسى الأشعري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب». أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي في الفتن، وأحمد في المسند.

أبي موسى، لكنه استدرك عليه قائلاً: إن الحق ما قاله الأمير، ولكن لا بدّ للناس من أمير يردع الظالم، ويعدي المظلوم، وينتظم به شمل الناس، وأمير المؤمنين علي يلي بما ولي، وقد أنصف بالدعاء، وإنما يريد الإصلاح، فانفروا إليه.

فاستجاب الناس للنفير، وساروا مع الحسن في جيش لجب قوامه زهاء تسعة آلاف رجل، وهناك قام الإمام البار الراشد ليبين للناس الطريق القويم الذي يسلكونه، وأن الحق الذي يسعى إليه يُدرك بأسباب كثيرة آخرها امتشاق السلاح، وأنهم إذا فرض عليهم أن يخوضوا قتالاً مع إخوانهم، فإنه لا بدّ أن يكون ذلك على النهج الحق.

وقام عليّ يستبرئ خبر أخويه طلحة والزبير، ليعرف ما الذي أخرجهما وماذا يريدان؟

فبعث القائد العبقري القعقاع بن عمرو، فخرج القعقاع حتى قدم البصرة، فبدأ بعائشة؛ فسلّم عليها وقال لها: أي أُمَّه، ما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بنيّ، الإصلاح بين الناس. فطلب إليها أن تبعث إلى طلحة والزبير، فبعثت إليهما فحضرا، فقال: إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت: الإصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ متابعان أم مخالفان؟ قالا: بل متابعان. قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح فوالله لئن عرفناه لنصلحن، ولئن أنكرناه لا يصلح، قالا: قتلة عثمان، فإن هذا الأمر إن ترك كان تركاً للقرآن.

وبعد نقاش طويل استطاع القعقاع إقناعهما بتسرّعهما مع عائشة بقتل نحو ستمائة رجل من قتلة عثمان؛ لأنهم بذلك ألَّبوا عليهم القبائل.

وعندما سألته أم المؤمنين عن الحلّ، ذكر أن دواء ما هم بصدده التسكين، ثم نصحهم بوجوب الانضمام إلى الجماعة، فأجابوه، وقالوا: نعم، إذاً قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر.

فرجع القعقاع إلى علي فأخبره، فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه، ورضيه من رضيه[1].

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ٢٩، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١١٩، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٣٧.

موقعة الجمل :

كان أمير المؤمنين علي ﷺ أكثر الناس فرحاً بنجاح مهمة القعقاع، وتوصله للصلح، وقد حفظت دماء المسلمين من أن تراق، واتفقت الكلمة، وتوحد الصف للوقوف - ولو بعد حين - في وجه القتلة المجرمين، والتنكيل بهم، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال خطبته التي ألقاها أمام جموع الناس، حيث ذكر لهم الجاهلية وشقاءها بخصوماتها العاتية، وحروبها الضارية، وذكرهم بما أنعم الله تعالى عليهم من الإسلام، والسعادة، وإنعام الله على الأمة بالجماعة والخليفة بعد رسول الله ﷺ، ثم الذي يليه، وختم خطبته بقوله: ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس، وليغن السفهاء عني أنفسهم.

وارتحل أمير المؤمنين بمن معه من صحبه وجنده، وحطّوا رحالهم قريباً من البصرة في مكان يسمّى (الزاوية)، فيما كان جيش عائشة بمكان يسمّى (الفرضة)، وتدانوا حتى تراءوا عند قصر عبيد الله بن زياد، في يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين للهجرة.

واطمأنت النفوس وسكنت، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعث علي عبد الله بن عباس إليهم، وبعثوا إليه محمد بن طلحة السجّاد، وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشر ليلة، وباتوا يتشاورون، وأجمعوا أمرهم على أن يثيروا الحرب من الغلس[1].

دور قتلة عثمان في إثارة الفتنة :

ما أن التقت كلمة المسلمين بعد إبرام هذا الصلح، حتى بدأت الحسرة تأكل قلوب أهل الرّيب والفتنة ممّن شارك بقتل عثمان، وساءهم كلام أمير المؤمنين، فباتوا بشرّ ليلة، يتشاورون فيما بينهم، وعقدوا مؤتمرهم الشيطاني، فاجتمع من

(١) الطبري: تاريخ ٣/ ٣٧ و ٣٩، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٢١ - ١٢٣، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٤٠.

رؤسائهم جماعة: كالأشتر النخعي، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سبأ، وغيرهم في ألفين وخمسمائة، وليس فيهم صحابي ولله الحمد، فقالوا: ما الرأي؟ وهذا والله علي، وهو أبصر الناس بكتاب الله، وأقرب ممّن يطلب قتلة عثمان، وأقربهم إلى العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم، غداً يجمع عليكم الناس، وإنما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم؟!

وتداولوا الآراء فيما بينهم، فاقترح الأشتر النخعي إلحاق علي بعثمان، فزجره عبد الله بن سبأ وسفّه رأيه، ثم أجمع المتآمرون - بمشورة اليهودي الماكر عبد الله بن سبأ - على إثارة الحرب من الغلس[1]، فنهضوا قبل طلوع الفجر - وهم قريب من ألفي رجل - فانصرف كل فريق إلى قراباتهم، فهجموا عليهم بالسيوف، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلى السلاح، كل فريق يظن أن الفريق الآخر قد بيّته، وغدر به، ولا يشعر أحد منهم بما وقع من المؤامرة، وقامت الحرب على قدم وساق، وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان، فنشبت الحرب، وتواقف الفريقان، وقد اجتمع مع عليّ عشرون ألفاً، والتف حول عائشة نحو ثلاثين ألفاً، والسبئية[2]- أصحاب ابن سبأ قبحه الله - لا يفترون عن القتل - ومنادي علي ينادي: ألا كفّوا، ألا كفّوا!! فلا يسمع أحد.

وجاء كعب بن سور ـ قاضي البصرة ـ فقال: يا أم المؤمنين، أدركي الناس، لعلّ الله أن يصلح بك بين الناس، فجلست في هودجها فوق بعيرها، وستروا الهودج بالدروع، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس عند حركاتهم.

---

(١) وهذا الرأي الخبيث الماكر الذي تفتقت عنه عقلية اليهودي الحاقد عبد الله بن سبأ، هو دين اليهود في مسيرتهم السوداء خلال حقب التاريخ المختلفة، لا يستطيعون المواجهة والمبارزة، بل يلجؤون إلى الدس والكيد والمؤامرات وإشعال الفتن.

(٢) وبعد ذلك أعجب لقول العقاد في مدحه لجماعة عبد الله بن سبأ، حيث يقول: «وكان معه ـ أي علي ـ جماعة السبئية ـ أتباع عبد الله بن سبأ ـ وهم أخلص الناس له وأغيرهم عليه، ولكنه لفرط غيرتهم ولددهم في عدواتهم لم يقنعوا بما دون القضاء على خصومه، ولم يقبلوا التوسط في الصلح دون الغلبة التي لا هوادة فيها. فدهموا القوم وأوقدوا جذوة الحرب قبل أن يفرغ علي من حديث المهادنة والتقريب بينه وبين أصدقائه الذين خرجوا عليه». العقاد: عبقرية الإمام علي، ص ٧٦.

وهكذا أنشب قتلة عثمان الحرب بين عليّ وأخويه طلحة والزبير، فظن أصحاب الجمل أن علياً غدر بهم، وظن علي وأصحابه أن إخوانه غدروا به، وكل منهم أتقى لله وأرفع من أن يفعل ذلك في الجاهلية، فكيف بعد أن بلغوا أعلى المنازل من أخلاق القرآن؟!

ولم يكن ثمة فرصة لإزالة اللّبس، والكشف عن هذه المؤامرة التي حاكها اليهود، وإن جندياً واحداً في مهب المعركة، يسبب بلبلة عظيمة، وفتنة جامحة تطحن برحاها جيشاً كاملاً، فكيف إذا كان في الجيش أكثر من ألفي غادر أسود القلب، حاقد على دعوة الحق وحماتها؟!

وهناك تبارز عمار والزبير ﷺ، فجعل عمار ينحره بالرمح، والزبير كاف عنه، وذلك لقول النبي ﷺ: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية»[1].

وقد رأى الزبير ﷺ أن قتاله ليس بصواب، فترك المعركة ورجع، فنزل وادياً يقال له وادي السباع، فاتبعه رجل يقال له عمرو بن جرموز، فجاءه وهو نائم؛ فقتله غيلة، قبّح الله فعله، وأما طلحة بن عبيد الله، فجاءه في المعركة سهم غرب (لا يعرف راميه)، فقتله.

انتهاء القتال :

كان لا بدّ من وضع حدّ لهذه المعركة غير المبرّرة، فتقدّمت أم المؤمنين عائشة في هودجها، وناولت كعب بن سور مصحفاً، وطلبت إليه أن يدعو أصحاب علي إليه، وما أن تقدّم كعب بالمصحف، حتى استقبلته مقدّمة جيش الكوفيين، وكان عبد الله بن سبأ وأتباعه بين يدي الجيش، يقتلون من قدروا عليه من جيش البصرة - أصحاب الجمل - لا يتوقفون في أحد، فلما رأوا كعب بن سور رافعاً المصحف رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد، فقتلوه، ثم راحوا يرشقون هودج السيّدة عائشة بالنبال، حتى صار مثل القنفذ، وهي تدعو على قتلة عثمان.

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة ومسلم في الفتن، والترمذي في المناقب وأحمد في المسند.

واستمرّ القتل في الفريقين فقتل خلق كثير، وقتل على خطام الجمل أربعون ـ وفي رواية ـ سبعون رجلاً، وأدرك الخليفة المحزون أن القتال سيستمر، وأن أم المؤمنين ستظل هدفاً للرماة الحاقدين، ما دام جملها قائماً والناس حولها يقاتلون، فطلب إلى أصحابه أن يعقروه حتى يتفرق القوم عنه، فضربه رجل فسقط، فسمع له عجيج ما سمع أشدّ منه، وانهزم من حوله الناس، وحُمِلَ هودج عائشة، وإنه لكالقنفذ من السهام.

وعند ذلك انهزم أهل البصرة، فنادى منادي علي في الناس: ألا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح، ولا تدخلوا في الدور. وأمر بحمل الهودج من بين القتلى، وأمر محمد بن أبي بكر أن يضرب عليه قبّة، وقال: انظر هل وصل إليها شيء من جراحة؟

فوجدها بحمد الله سليمة لم تصب بشيء، ثم جاءها علي فقال: كيف أنت يا أمّه؟

قالت: بخير يغفر الله لك، قال: ولك. وجاء وجوه الناس من الأمراء والأعيان يسلّمون على أم المؤمنين.

فلما كان الليل، دخلت أم المؤمنين البصرة، ومعها أخوها محمد بن أبي بكر، فنزلت في دار عبد الله بن خلف الخزاعي - على صفية بنت الحارث، زوجة عبد الله بن خلف، وتسلل الجرحى من بين القتلى، فدخلوا البصرة، وأقام علي في عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة، وندب الناس إلى موتاهم، فخرجوا إليهم فدفنوهم، فطاف علي معهم في القتلى، ثمّ صلى عليهم جميعاً، وجمع أكثرهم في قبر واحد.

ثم جهز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، وسيّرها إلى المدينة، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه أم المؤمنين عائشة، جاءها علي حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت عليهم وقالت: يا بنيّ، تعتّب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه ما كان بيني

وبين علي إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي - على معتبتي - لمن الأخيار.

فقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرّت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة.

وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاين للهجرة، وشيعها علي أميالاً، وسرّح بنيه معها يوماً.

ولما انتهت معركة الجمل، رفض علي رضي الله عنه أن يقسم أموال أصحاب الجمل، فجمع ما خلفه الجند من سلاح ومتاع، وبعث به إلى مسجد البصرة، قائلاً: من عرف شيئاً له فليأخذه إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان.

ووبخ السبئية الذين طعنوا في قراره واعترضوا عليه بقولهم: كيف يحلّ لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم؟!

فقال: أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه؟ ولم يتردد عن تعزير رجلين وقعا في عائشة، فضُرِبا مئة مئة.

ولما تجول بين القتلى، ورأى طلحة مجندلاً، مسح عن وجهه التراب، وقال: رحمة الله عليك يا أبا محمد، يعز علي أن أراك مجدولاً[1] تحت نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أشكو عجري وبجري[2]، والله لوددت أني كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

ثم صلّى على جميع القتلى من الفريقين، وجمع أكثرهم في قبر واحد، كما سبق وذكرنا، إيماناً منه بأنهم ماتوا على الإسلام، طالما أنهم كانوا يقاتلون تعبّداً، لا لغرض دنيوي، ولا ارتداداً عن الإسلام، أو استجابة لحقد دفين، أو عصبية بغيضة، كما يزعم المغرضون من أهل الهوى والفتنة.

وجاء في كتاب قرب الإسناد للحميري الشيعي، عن جعفر عن أبيه أن علياً عليه السلام،

---

(١) مجدولاً: أي مرمياً على الأرض قتيلاً.

(٢) عجري وبجري: أي همومي وأحزاني.

كان يقول لأهل حربه عن أهل الجمل: إنا لم نقاتلهم على التكفير لهم، ولم يقاتلونا على التكفير لنا، ولكنا رأينا أنا على حق، ورأوا أنهم على حق.

وورد بإسنادٍ رجالُه ثقات أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر» قال: أنا يا رسول الله! قال: «نعم»، قال: أنا أشقاهم يا رسول الله. قال: «لا، لكن إذا كان كذلك فارددها إلى مأمنها»[1].

فتأمل هذا الحديث، فإن فيه قطعاً لكل ريب وشبهة؛ لأنه صريح في أن الله أطلع النبي ﷺ على ما يقع بين علي وعائشة رضي الله عنهما، وفي أن علياً على الحق، ووصاه ﷺ بها، وإنما لم ينهها ولا بين لها لأنه علم أن هذا الأمر لا بد من وقوعه، فلم يبق إلا التنبيه على عذر من سيقع منه، وكذا يقال في جميع ما وقع بين الصحابة، هو ﷺ أعلم به، ولم ينه عنه، وإنما أشار إلى عذر فاعليه من أصحابه[2].

وكان علي لا يذكر عائشة إلا بكل خير، ويسميها خليلة رسول الله ﷺ «وهذا يقوله أمير المؤمنين في حق عائشة مع ما وقع بينهما، فرضي الله عنهما»[3].

وعندما قتل عدوّ الله عمرو بن جرموز الزبير رضي الله عنه غيلة، احتز رأسه، وذهب به إلى علي رضي الله عنه، وهو يظن أنه سيحصل له بذلك حظوة عنده، فقال عليّ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بشر قاتل ابن صفية[4] بالنار»، ثم قال لعدو الله عمرو بن جرموز الذي دخل عليه وهو يحمل سيف الزبير: إن هذا السيف طالما فرّج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ.

وعندما سئِلَ عن أهل الجمل: أهم مشركون؟ قال: من الشرك فرّوا. قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال:

---

(١) ابن حجر: فتح الباري، ١٣/ ٦٩، وأورده الهيثمي وقال: رواه أحمد والبزار، والطبراني، ورجاله ثقات، مجمع الزوائد، ٧/ ٢٣٤.

(٢) الهيتمي: تطهير الجنان، ص ٦٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٢٤.

(٤) هي صفية بنت عبد المطلب أم الزبير وعمة النبي ﷺ.

هم إخواننا بغوا علينا، فقاتلونا فقاتلناهم، وقد فاؤوا وقد قبلنا منهم[1].

موقعة صفّين[2]

تقدّم أن أمير المؤمنين علياً ﷺ، كان يرى عدم التعجيل في الاقتصاص من قتلة عثمان، لما سبق وبيّناه من سعيه لإرغام الخارجين عليه للدخول في طاعته، حتى تكون شوكة الدولة الإسلامية هي الأقوى، ويتمكن من الأخذ برقاب القتلة المجرمين.

وظل موقف معاوية ﷺ على حاله، لم يتزحزح عنه قيد أنملة، وزاد الأمر سوءاً ما جرى في موقعة الجمل من حروب طاحنة أودت بحياة الكثيرين، في الوقت الذي ظلّ فيه قتلة عثمان يكيدون للإسلام والمسلمين، ولم يحدث أي تغيير قط في موقفي علي ومعاوية منهم.

ولما فرغ أمير المؤمنين علي من موقعة الجمل، سار من البصرة إلى الكوفة فدخلها لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين للهجرة، ونزل (الرّحبة)، وصلّى في الجامع الأعظم ركعتين، ثمّ خطب الناس فحثهم على الخير، ونهاهم عن الشر، ومدح أهل الكوفة.

ثم أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية بالشام يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فامتنع معاوية واعتل بأن ابن عمه عثمان قتل مظلوماً وأنه أولى الناس بالمطالبة بدمه، وتجب المبادرة إلى الاقتصاص من قتلته، وأنه أقوى الناس على الطلب بذلك، والتمس من علي أن يمكنه من القتلة، ثم يبايع بعد ذلك، فقد رأى معاوية وأهل الشام أن الجناة على عثمان - وعلى رأسهم الأشتر وابن سبأ - في معسكر علي، وهذه حقيقة لا يماري فيها أحد، وقد قتلوا الخليفة بوحشية مفظعة، وكانوا مسعر الحرب بين علي وأصحاب الجمل، فصعب على

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي كما في المنتخب، ٥/٤٤٦.

(٢) صفين: موقع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس. وكانت وقعة صفين بين علي ومعاوية ﷺ في سنة ٣٧ في غرّة صفر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣/ ٤١٤.

معاوية أن يراهم أحياء يتنفسون الهواء، وأن يبايع الإمام وهم لا يزالون في جيشه!! فتمنى أن يقتلهم الخليفة، أو يسلمهم إليه - وهو الوالي القويّ - فينكل بهم[1].

وقد كان لعليّ العذر في عدم التعجيل بعقوبتهم؛ لأنهم قد أصبحوا في العراق بمعقل من قوتهم وعنجهية قبائلهم، وكثرة مؤيديهم ومادتهم، وفتح باب القتال معهم ينذر بشرّ مستطير، وتسكين الأمر هو الحلّ الأنجع في مثل هذه الظروف.

ولهذا فإن علياً رفض طلب معاوية، ودعاه إلى الدخول في البيعة كما دخل أهل مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن وغيرهم، وبعد ذلك يقوم الإمام بإقامة الحدود والقصاص من المجرمين.

عزم أمير المؤمنين على المسير إلى أهل الشام:

لما رأى علي إصرار معاوية في أهل الشام على رأيه، عزم على المسير إليهم، فاستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عمرو، وخرج منها فعسكر بالنخيلة.

ولما علم معاوية بذلك استشار الناس، فأشار عليه رجال بأن يخرج إليه هو أيضاً بنفسه، فخرج الشاميون نحو الفرات من جهة صفين في تسعين ألفاً، وتقدم عليٌّ بجيوشه إلى تلك الجهة في مئة وعشرين ألف مقاتل.

وكان الصحابة في هذه الفتنة عشرة آلاف، فما حضرها منهم مئة بل لم يبلغوا ثلاثين[2].

---

(١) وليس كما ادعى الدكتور خالد محمد خالد - سامحه الله - بقوله: «أكان طريق الثأر، أن يطوف - يعني معاوية - بقميصه بلاد الشام كلها، غارساً في قلوب الناس أن علياً هو الذي أعان على قتل عثمان بالأمس، وهو الذي يؤوي قاتليه اليوم» خالد محمد خالد: خلفاء الرسول، ص ٥٥٤، لمزيد من التفصيل انظر: علي بن أبي طالب، لعبد الستار الشيخ، ص ٢١٨.

(٢) هذا كلام التابعي محمد بن سيرين كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية، ٧/ ٢٤٥، أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد عن إسماعيل بن علية، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا الإسناد أصح إسناد على وجه الأرض، ومحمد بن سيرين من أورع الناس، ومراسيله من أصح المراسيل، منهاج السنة، ٣/ ١٨٦.

وعبر أمير المؤمنين بجيشه نهر الفرات، وقدّم بين يديه زياد بن النضر وشريح بن هانيء، في طائفة من الجيش نحو معاوية، فالتقوا مع أبي الأعور السلمي في جند الشام، حيث جرت بعض المناوشات، إلى أن وصل علي بجيشه، وجاء معاوية في جنوده، فتواجه الفريقان، وتواقفا طويلاً، وذلك بمكان يقال له (صفين) في أوائل ذي الحجة.

وأقام علي يومين لا يكاتب معاوية، ثم أرسل إليه بشير بن عمرو وسعيد بن قيس الهمذاني، وشبث بن ربعي التميمي، فدخلوا عليه، فتكلم بشير بن عمرو، ثم تلاه شبث بن ربعي، فتكلم بكلام فيه جفاء وغلظة في حق معاوية، فزجره، وبَيَّن له تهافت رأيه وسفاهة حلمه، ومما قاله: فقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما ذكرت ووصفت، انصرفوا فليس بيني وبينكم إلا السيف.

ومن هنا يفهم أن السفراء بين الأمراء عليهم المدار في الإصلاح والإفساد، ولقد صدق معاوية، فإن شبث بن ربعي، كان أول الخارجين على أمير المؤمنين علي، فرجع الوفد إلى علي، وأخبره، عندئذٍ لم يبق في جعبة الإمام إلا المواجهة والقتال، فوقف في جيشه خطيباً فأمرهم بقيام الليل والإكثار من تلاوة القرآن، ورسم لهم الخطة في الحرب مع إخوانهم، والأخلاق التي يجب أن يلتزموها، وأن لا يبدؤوا القوم بقتال حتى يكونوا هم الذين يبدؤونهم به، فاقتتلوا شهر ذي الحجة بكامله، وما أن دخل شهر المحرم من سنة سبع وثلاثين، حتى تحاجزوا رجاء أن يقع بينهم مهادنة وموادعة يؤول أمرها إلى الصلح بين الناس، وحقن دمائهم، فبعث علي نفراً منهم عدي بن حاتم إلى معاوية، يدعونه إلى الطاعة والجماعة، وكان في مطاوي كلامهم إغلاظ لمعاوية، فلم يجبهم إلى ما دعوه إليه، وأرسل نفراً إلى أمير المؤمنين، منهم حبيب بن مسلمة، فأكدوا على ما خرج أهل الشام لأجله من الطلب بدم عثمان.

وترددت الرسل بين علي ومعاوية، والناس كافون عن القتال، حتى انسلخ المحرم من سنة سبع وثلاثين، ولم يقع بينهم صلح.

وقوع المعركة الفاصلة والإنتهاء إلى التحكيم :

استمرّت المناوشات بين الفريقين طيلة شهر ذي الحجة عام ٣٦هـ، فلمّا دخل المحرّم توادع الفريقان على وقف القتال، احتراماً وطمعاً في التوصل إلى صلح يقي المسلمين حرِّ القتال، ويحقن دماءهم من أن تراق على مذبح الفتنة.

وكان لابدّ للصدام أن يحدث بعد أن فشلت كلُّ المساعي لإبرام الصلح بين الفريقين، فبدأ القتال، واشتعلت نار الحرب، فلقي فيها الآلاف من الفريقين مصرعهم، وكان أشدها ليلة التاسع من صفر عام ٣٧هـ، حيث سميت هذه الليلة (بليلة الهرير) تشبيهاً لها بليلة الهرير في القادسية، وظلَّ الفريقان في كرٍّ وفرٍّ إلى أن دارت رحى الحرب على أهالي الشام، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح، وقالوا: هذا بيننا وبينكم، وقد فني الناس، فمن للثغور؟! ومن لِجهاد المشركين والكفّارِ؟!

فلما رأى ذلك أصحاب علي ﷺ،وقد شارفوا على الانتصار، اختلفوا، ففرقة تقول: نجيب إلى كتاب الله ﷻ ، ورئيسهم الأشعث بن قيس الكندي، وهم غالبية أصحاب علي، وفرقة تأبى إلاّ القتال ورئيسهم الأشتر النخعي، فاستجاب عليٌّ إلى هذه الدعوة مكرهاً، وأمر بوقف القتال، ثمّ أرسل الأشعث إلى معاوية يسأله عمّا يريد، فقال له معاوية: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر به الله في كتابه، تبعثون رجلاً ترضونه ونبعث رجلاً نرضاه، ونأخذ عليهما العهد أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثمَّ نتبع ما اتفقا عليه.فعاد إلى علي بالخبر، فقال الناس: رضينا وقبلنا، واختار أهل الشام عمرو بن العاص، واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري.

ثمَّ انفصل الفريقان على أن يحضر الحكمان ومن معهما بعد مدّة عينوها في مكان وسط بين الشام والعراق،ويرجع العسكران إلى بلادهم إلى أن يقع الحكم، وكتبوا بينهم كتاب التحكيم الذي أكد التزام الفريقين بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وإليك صورة الاتفاق، وهو كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى عليٌّ على أهل الكوفة ومن معهم من المؤمنين والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين، أنا ننزل عند حكم الله ﷻ وكتابه، ولا يجمع بيننا غيره، وأن كتاب الله ﷻ بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نحيي ما أحيا ونميت ما أمات، فما وجد الحكمان في كتاب الله ﷻ ـ وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس، وعمرو بن العاص القرشي ـ عملا به، وما لم يجدا في كتاب الله ﷻ فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة.

وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق، أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما، والأمة لها أنصار على الذي يتقاضيان عليه، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنهما على مافي هذه الصحيفة وأجّلا القضاء إلى رمضان، وإن أحبا أن يؤخرا ذلك على تراضٍ منهما[1]. ورجع أمير المؤمنين من صفين إلى الكوفة وجيشه في شقاق واختلاف، منهم من رضي بالتحكيم على اعتبار أنه كان السبيل الوحيد لحسم الخلاف، وجمع كلمة المسلمين، وحقن دمائهم، ومنهم من كرهه واحتجوا على أمير المؤمنين بقولهم: انسلخت من قميص ألبسكه الله واسم سماك به الله ثم انطلقت فحكّمت في دين الله الرجال، ولا حكم إلا لله؟

فلما وصل علي الكوفة اعتزله جماعة ممَّن رأوا التحكيم ضلالاً، وأتوا حروراء، فنزلوا بها في اثني عشر ألفاً، فبعث إليهم علي عبد الله بن عباس، وقال له: لا تراجعهم حتى آتيك، فلم يصبر على مكالمتهم وناظرهم وأقام عليهم الحجَّة ثمَّ لحق به علي فناظرهم وأقام عليهم الحجَّة، فرجعوا إلى رأيه.

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٠٣، ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ١٦٢، وابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٧.

اجتماع الحكمين :

ولمَّا كان مجيء رمضان ـ سنة سبعٍ وثلاثين للهجرة ـ بعث علي ﷺ أربع مئة فارس مع شريح بن هانئ، ومعهم أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربع مئة فارس من أهل الشام، فتوافوا بدومة الجندل بأذرح، وهي نصف المسافة بين الكوفة والشام، وشهد معهم رؤوس الناس، كعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة ابن شعبة، اجتمع الحكمان وتراوضا على المصلحة للمسلمين، ثمَّ اتفقا على أن يخلعا علياً ومعاوية ـ بحسب الروايات ـ وأن يجعلا أمر الخلافة شورى بين المسلمين ليتفقوا على واحد من الصحابة يكون موضع القبول من الجميع، وقد أشار أبو موسى بعبد الله بن عمر ابن الخطاب فأبى عمرو، وطلب من أبي موسى أن يقرّ ابنه عبد الله بن عمرو، فأبى أبو موسى ذلك، لأن عبد الله كان مع أبيه في جند معاوية، ومع ذلك أثنى عليه خيراً.

واصطلحا أخيراً على أن يخلعا علياً ومعاوية، على أن يترك النظر في إمامة المسلمين إلى أعيان الصحابة، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم.

وهذا الكلام الذي أثبته المؤرخون في تواريخهم، ينطوي على مغالطة كبيرة؛ لأن معاوية لم يكن خليفة في ذلك الحين، فكيف يتم الاتفاق على خلعهما جميعاً؟!

انتقاض القراء على عليٍّ ﷺ وقتالهم :

وكان من أمر القراء أنه لمَّا كاتب عليٌّ معاوية ، وحكم الحكمين ،خرجوا عليه، فسُمُّوا بالخوارج لذلك وبالغوا في النكير على عليٍّ، وصرحوا بكفره !

ولما انتهى الحكمان من مهمتهما رفض علي قرارهما، وردَّه عليهما، وندب الناس للخروج إلى أهل الشام، وكتب إلى الخوارج يعلمهم بأن الذي حكم به الحكمان مردود عليهما، وأنَّه قد عزم على الذهاب إلى الشام، ودعاهم إلى

القتال معهم، فأبوا ذلك. وخرج عليّ من الكوفة إلى النخيلة في خمسة وستين ألفاً، انضم إليهم ثلاثة آلاف ومئتي فارس من أهل البصرة بعثهم عبد الله بن عبَّاس، فبينما هو كذلك إذ بلغه أن الخوارج قد عاثوا في الأرض فساداً، وسفكوا الدماء وقطعوا السُّبل، واستحلّوا المحارم[1]، فلمّا بلغ الناس هذا من صنيعهم خافوا إن ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بقتال أهله، أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم بهذا الصّنيع، فخافوا غائلتهم وأشاروا على أمير المؤمنين أن يبدأ بهؤلاء، ثمَّ إذا فرغ منهم ذهب إلى أهل الشام بعد ذلك، والناس آمنون من شرّهم، فاجتمع الرأي على هذا.

فسار إليهم أمير المؤمنين بجيشه، وبعث بين يديه قيس بن سعد بن عبادة، وبعث إلى الخوارج أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم حتى أقتلهم، فقالوا: كلنا قتل إخوانكم، ونحن مستحلون دماءهم ودماءكم.

فتقدم إليهم قيس بن سعد فوعظهم، إلاّ أنهم لم ينتفعوا بشيء من كلامه، ثمّ جاء أبو أيوب الأنصاري وفعل مثل ذلك، فما ازدادوا إلاّ إصراراً على باطلهم، ولم يكن لهم جواب إلّا أن تنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم، وتهيّؤوا للقاء الرب ﷻ، الرواح الرواح إلى الجنّة!! وتقدّموا واصطفوا للقتال، ووقف علي بجيشه أمامهم، وأمر أبا أيوب الأنصاري أن ينصب راية الأمان للخوارج وأن ينادي: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا.

---

(١) لقيهم عبد الله بن خباب بن الأرت، وفي عنقه مصحف، ومعه امرأته وهي حامل، فقالوا: إنَّ هذا الذي في عنقك لَيأمرنا بقتلك، قال: ما أحيا القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه، فوثب رجل منهم على رطبة فوضعها في فيه فصاحوا به فلفظها تورعاً، وعرض لرجل منهم خنزير فضربه الرجل، فقتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض، فقال عبد الله بن خباب: ما عليَّ منكم بأس إني لمسلم. ثمَّ طلبوا إليه أن يحدثهم عن أبيه فحدثهم، فسألوه عن أبي بكر وعمر، فأثنى عليهما خيراً، ثمَّ سألوه عن علي قبل التحكيم وبعده فأثنى عليه خيراً ففسقوه وكفروه، ثمّ قرَّبوه إلى شاطئ النهر فذبحوه، ثم أقبلوا على امرأته فبقروا بطنها.

فانصرف فروة بن نوفل بخمسمئة حتى نزل البندنيجين والدسكرة، وانصرف جماعة إلى الكوفة، وخرج إلى علي نحو مئة مسالمين، فلم يبق منهم مع عبد الله بن وهب الراسبي إلّا ألف وثمانمئة، فزحفوا إلى علي، والتحم الجيشان، ولم يلبث علي ﷺ أن ألحق بهم الهزيمة، واستأصل شأفتهم، ولم ينجُ منهم إلّا بضعة نفر، وكان ذلك في شعبان، سنة ثمان وثلاثين للهجرة.

ثمّ طلب أمير المؤمنين إلى أصحابه أن يلتمسوا ذي الثدية، لما كان سمعه من النبيّ ﷺ، فقال بعضهم: ما نجده، حتى قال بعضهم: ما هو فيهم، وعلي يقول: والله إنه لفيهم، والله ما كذبت ولا كذبت، ثمّ إنه جاءه رجل فبشره فقال: يا أمير المؤمنين قد وجدناه.

وقيل: بل خرج علي في طلبه قبل أن يبشره الرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفي والرّيان بن صبرة فوجدوه في حفرة على شاطئ النهر في خمسين قتيلاً، فلما استخرجه نظر إلى عضده فإذا لحم كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سود، فإذا مدّت امتدت حتى تحاذي يده الطولى ثم تترك فتعود إلى منكبيه، فلما رآه قال: الله أكبر ما كذبت ولا كذبت، لولا أن تتكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيّه ﷺ لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم عارفاً للحق الذي نحن عليه.

وهذه هي الفرقة التي خبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أَوْلَى الطائفتين بالحق»[1].

هذا هو ملخص الأحداث التي جرت في موقعة صفين بين علي ومعاوية ﷺ، وقد توخيت في سياق الأحداث الاختصار غير المخلّ، كما طويت الروايات التافهة، التي لا تليق بأخلاق الصحابة، وهي لا تصح من باب، فضربت عنها صفحاً.

وقبل أن نطوي صفحة هذه الأحداث، لابدّ أن نقف وقفة قصيرة عند قرار

(١) أخرجه مسلم في الزكاة وأبو داود في السنة، وأحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري.

التحكيم، ولا سيما أن القرار الذي توصل إليه الفريقان ـ بعد معارك طاحنة في هذا الصدد ـ قد أوجد مجالاً فسيحاً، وأرضاً خصبة للمغرضين كي ينفثوا سمومهم، ويروّجوا أكاذيبهم، فأشاعوا أن ما جرى من قصة رفع المصاحف، كان مسرحية هازلة، اخترعها معاوية لدفع الهزيمة عنه، ويستبدّ بهؤلاء الخيال، فيخترعون مواقف و(سيناريوهات) لا يصحّ شيء منها عن الصحابة، ويرمون عمرو بن العاص رضي الله عنه ـ الحكم الأول ـ بالمكر والخديعة، في الوقت الذي يرمون فيه أبا موسى الأشعري رضي الله عنه ـ الحكم الثاني ـ بالغباء والغفلة.

وقاصمة الظهر مافعله أكثر المؤرخين من دأبهم على اختلاق الروايات المكذوبة حول هذه القضية، وسار على نهجهم كثير من المستشرقين وحطّاب الليل من كتّاب المسلمين، بلا تدقيق أو تمحيص.

فالتحكيم لم يقع فيه مكر ولا خداع، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة[1]، وكان من الممكن أن يكون ثمة محل للمكر والغفلة، لو أن عمراً أعلن في نتيجة التحكيم أنه ولى معاوية خلافة المسلمين، وهذا لم يعلنه عمرو، ولا ادّعاه معاوية رضي الله عنهما، ولم يقل به أحد في الأربعة عشر قرناً الماضية، وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وقد تمّت بمبايعة الحسن عام أربعين للهجرة عام الجماعة، لاجتماع الكلمة على معاوية.

وقد هزئ مؤرخو الإفك المفترى بعقول قرّائهم، وأوهموهم أنَّ هناك خليفتين أو أميرين للمؤمنين، وأن اتفاق الحكمين كان على خلعهما معاً، فخلعهما أبو موسى وأمَّا عمرو فمكر به، إذ قدَّمه للكلام أولاً، وخلع علياً وأثبت معاوية، وهذا إفك وبهتان، وكذب وافتراء[2]

---

(١) ولو كان فيه غفلة لما كانت مهمة أبي موسى الأشعري في التحكيم موضع فخار لأبنائه وأحفاده من بعده، فهذا الشّاعر ذو الرمّة يمدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري بقوله:

أبوك تلافى الدين والناس بعدما ... تشاءوا وبيت الدين منقطع الكسر

فشدَّ أصار الدين أيام أذرح ... وردَّ حروباً قد لقحن إلى عقر

ديوان ذي الرمة ص ٢٧٣.

(٢) بتصرُّف عن التعليقات النفيسة لمحب الدين الخطيب، على العواصم من القوا صم، ص١٧٧ـ ١٧٨.

وقد روَّج العقاد لهذه الفرية[1]، وتابعه عليها صاحب كتاب خلفاء الرسول، فقال:

«وبدأ أبو موسى وخلع علياً ومعاوية، ثمّ تلاه عمرو فقال: إنَّ أبا موسى خلع صاحبه كما رأيتم وإني أخلعه كما خلعه، وأثبت معاوية فهو أمير المؤمنين والمطالب بدم عثمان فبايعوه»[2]، وزاد على رواية أبي مخنف ـ راوي الإفك المفترى ـ فِرية أخرى، وهي قوله: «فهو أمير المؤمنين» ولست أدري من أين جاء بها.

وزاد الوضَّاعون الأمر سوءاً، فافتروا على رسول الله ﷺ حديثاً بشأن الحكمين، فرووا عن سويد بن غفلة، قوله: إني لأمشي مع علي بشط الفرات فقال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ بني إسرائيل اختلفوا، فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين، فضلاّ وأضلاَّ، وإنَّ هذه الأمة ستختلف، فلا يزال اختلافهم حتى يبعثوا حكمين فيضِلاّن ويُضلاّن من اتبعهما»[3]، وعلى العموم فإنَّ الروايات المكذوبة التي تتصل بخبر التحكيم قد جاءت عن طريق أبي مخنف، (لوط بن يحيى) ونصر بن مزاحم[4]، وفيها زيادات منكرة وجريئة، وفيها سبٌّ واتهام بالعنف والغدر والخيانة، وتحامل قوي على الحكمين.

كما أنَّ الروايات التي ذكرها الطبري في تاريخه ـ وعددها أربع عشرة رواية ـ جاءت من طريق أبي مخنف[5].

ومِمَّا يدل على كذب هذه الروايات، ما رواه القاضي أبو بكر بن العربي،

---

(١) العقاد: عبقرية علي، ص١٠٥ـ ١٠٨.

(٢) خالد محمد خالد: خلفاء الرسول، ص٥٨١.

(٣) قال فيه ابن كثير: حديث منكر ورفْعُه إلى رسول الله ﷺ موضوع، إذ لو كان هذا معلوماً عند علي لم يوافق على تحكيم الحكمين، حتى لا يكون سبباً لإضلال الناس، كما نطق به هذا الحديث. البداية والنهاية، ٧/ ٢٨٥.

(٤) نصر بن مزاحم المنقري : العطار أبو الفضل، ذكره أبو داود الحلي في المجروحين والمجهولين، وقال الشيخ في الرجال: كوفي مستقيم، لكنه يروي عن الضعفاء.

(٥) لمزيد من التفصيل انظر: أثر التشيّع للدكتور عبد العزيز ولي، ص ٣٥٩ .

ومفاده: أنَّ عمرو بن العاص قال لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: إنَّه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ.

قال: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما[1].

فليس فيما صحّ من خبر التحكيم اتفاق بين الحكمين على عزل علي ومعاوية رضي الله عنهما؛ لأن معاوية لم يكن خليفة، ولم يطلب البيعة على الخلافة في تلك الحروب التي خاض غمارها، وإنما خرج للمطالبة بدم ابن عمّه عثمان.

موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من أهل الشام

يتضح مما تقدّم، ومن خلال القراءة الأولى لموقف علي من أهل الشام، أنه ما كان ليهبط إلى تلك الدرجة من الإسفاف التي هبط إليها المغرضون، الذين لم يتورعوا عن تكفير بعض الصحابة، بسبب ما حصل بينهم من أحداث وفتن، كانت من قبيل القضاء والقدر الذي كتبه الله تعالى على هذه الأمّة.

فأمير المؤمنين علي، لم يكفّر أحداً من الصحابة، ممّن حاربه من أهل الشام، كما كان يكف لسانه عنهم، وينهى عن الوقوع فيهم.

وليس أدل على ذلك من كتابه الذي بعثه إلى أهل الأمصار، والذي شرح فيه ما جرى بينه وبين أهل الشام، جاء فيه: وكان بدء أمرنا أنّا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، لا نستزيدهم في الإيمان بالله، والتصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلّا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء[2].

وينكر في الوقت نفسه على من يسب معاوية وأتباعه فيقول: إنيّ أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم، كان أصوب في

---

(١) أخرجه الدارقطني عن الحصين بن المنذر كما في العواصم من القواصم، ص ١٨٠ .

(٢) الشريف الرضي: نهج البلاغة بشرح محمد عبده، ٣/ ٣٩٠.

القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إيّاهم، اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به.[1]

ولقد كانت هذه المنهجية دين عليّ وديدنه في علاقته مع الصحابة رضوان الله عليهم؛ يروي المجلسي[2] عن الطوسي[3] رواية موثوقة عن عليّ أنه قال لأصحابه: أوصيكم في أصحاب رسول الله ﷺ، لا تسبّوهم، فإنهم أصحاب نبيّكم، وهم أصحابه الذين لم يبتدعوا في الدين شيئاً، ولم يوقروا صاحب بدعة، نعم! أوصاني رسول الله ﷺ في هؤلاء[4].

حكم المشاركين في الجمل وصفّين في الشرع الحنيف

كان لابدّ أن نقف مع المشاركين في موقعتي الجمل وصفين، لنتعرّف على حكمهم في الشرع الحنيف، ولا سيما أن اللغط قد كثر حولهم، وقد وجد المغرضون في هذه الأحداث أرضاً خِصبة لنفث سمومهم وبث شبهاتهم وأضاليلهم، ومادة دسمة للطعن في صحابة رسول الله ﷺ، فرموهم بكلّ الصفات المذمومة.

وقد سبق وتحدثنا بإسهاب عن كلّ الظروف التي أحاطت بهاتين الموقعتين، وكيف قام المجرمون من قتلة عثمان بدورٍ رئيس في إثارة الفتنة، وإشعال فتيل الحرب بين الفريقين.

---

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة بشرح محمد عبده، ٢/ ٢٨١.

(٢) المجلسي: الملّا محمد باقر بن محمد بن تقي المجلسي، ولد سنة ١٠٣٧هـ، ومات سنة ١١١٠هـ، أحد أكبر علماء الشيعة في زمانه، قال فيه الخوانساري: هذا الشيخ كان إماماً في وقته في علم الحديث وسائر العلوم، وشيخ الإسلام بدار السلطة أصفهان. الخوانساري: روضات الجنات، ٢/ ٧٨.

(٣) الطوسي: محمد بن الحسن بن علي الطوسي، ولد سنة ٣٨٥هـ، ومات سنة ٤٦٠هـ بالنجف، يلقب بشيخ الطائفة. المامقاني: تنقيح المقال، ٣/ ١٠٥.

(٤) المجلسي: حياة القلوب، ٢/ ٦٢١.

وعندما نتحدث عن الحكم الشرعي في المشاركين في هاتين الموقعتين من المسلمين، فلا نعني بهم قتلة عثمان ومن لفّ لفهم، ولكننا نعني بهم أولئك المسلمين ممّن قاتل تعبّداً، وليس استجابة للهوى أو طمعاً بمنصب أو جاه، أو غرض دنيوي زائل.

وكي نتحرّى الحكم الشرعي إزاء هذه القضية لابدّ أن نعي ما يلي:

١ ـ إن المسلمين الذين شاركوا في هاتين الموقعتين، سواء من كان منهم في صف علي أم في صفّ خصومهم، فإنهم مثابون كلّهم، ولا يخرج أحدهم من دائرة الإسلام ـ كما يزعم بعضهم ـ باستثناء المجرمين القتلة الذين حرّشوا بين الفريقين بعد قتلهم الخليفة المظلوم، وكانوا مسعر الحرب في الجمل وصفين.

٢ ـ ينبغي أن لا ننسى أن اختلاف الفريقين كان على إقامة حد من حدود الله. ألا وهو الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، ولم يكن اختلافهم على دنيا يصيبونها، أو استجابة لحقد أو هوى كما سبق وذكرنا، وإنما كان ذلك اجتهاداً منهم، والمجتهد المخطئ له أجر واحد، والمصيب له أجران.

وعليه فإن عقيدة أهل السنة والجماعة، لا ترى أن ثمّة فرقاً بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ومن شارك معها في حروبهما، حيث كانوا جميعاً من أهل الحقّ، لا نشك في إخلاصهم قيد أنملة.

٣ ـ تجدر الإشارة إلى أن القتال الذي جرى بينهم لم يكن على الإمامة، فإن أهل الجمل وصفين لم يقاتلوا على تنصيب إمام غير علي، ولا كان معاوية يقول إنه الإمام دون علي، ولا قال ذلك طلحة أو الزبير، وإنما كان القتال فتنة عند كثير من العلماء، بسبب اجتهادهم في كيفية الاقتصاص من قتلة عثمان، وهو من باب قتال أهل العدل والبغي، وهو القتال بتأويل سائغ لطاعة غير الإمام، لا على قاعدة دينية، أي ليس بسبب خلاف في أصول الدين[1].

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ٣/ ٢١٦ـ ٢١٩، بتصرّف.

ونقل ابن بطال[1] عن المهلّب[2] قوله: إن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً في الخلافة، ولا دعوا أحداً ليولّوه الخلافة، وإنما أنكروا على علي منعه من قتال قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم[3].

ويؤيد هذا ما ذكره الذهبي أن أبا مسلم الخولاني وأناساً معه جاؤوا إلى معاوية، وقالوا: أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟! فقال: لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمّته، والطالب بدمه، فأتوه فقولوا له: فليدفع إلي قتلة عثمان، وأسلم له، فأتوا علياً، فكلّموه، فلم يدفعهم إليه[4] فعند ذلك صمّم أهل الشام على القتال مع معاوية[5].

وعلي ﷺ كان يرى هذا الرأي، فلم يُؤثر عنه أنه كفّر أحداً من الذين حاربوه كما سبق وذكرنا.

٤ ـ إن كلا الفريقين من أهل الحقّ، وأصحاب دعوة واحدة، كلّ منهما اجتهد في سبيل إقامة حدود الله ﷻ، واقتتال المسلم مع أخيه المسلم ليس شيئاً مستحيلاً، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۚ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩].

فالله تعالى العليم الخبير، قد شرع الإصلاح بين الفئتين المختلفتين المقتتلتين من المسلمين، فإن بغت إحداهما على الأخرى قوتلت لردّها إلى جادة الصواب؛ لأنه سبحانه قد سبق علمه بأن هذا ممكن الوقوع بين البشر.

وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بأن معاوية وأتباعه كانوا من أهل الحقّ،

---

(١) ابن بطال: (... ـ ٤٠٤هـ = ... ـ ١٠١٣م) سليمان بن محمد بن بطال البطليوسي. أبو أيوب: فقيه باحث، له أدب وشعر تعلم بقرطبة، واشتهر بكتابه «المقنع في أصول الأحكام» الزركلي: الأعلام، ٣/ ٢٣١.

(٢) المهلّب بن أحمد بن أبي صفرة بن عبد الله الأسدي الأندلسي المربي، مصنف. كان أحد الأئمة الفصحاء، الموصوفين بالذكاء، توفي في شوال سنة خمس وثلاثين وأربع مئة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٧/ ٥٧٩.

(٣) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ١٣/ ٧٠.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١/ ٩١.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ١٣٢.

فقد أخرج البخاري، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، تقتل بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة».

وقال الحافظ ابن حجر تعقيباً على هذا الحديث: «الفئتين علي وجماعة معاوية»، ويؤخذ من تسميتهم مسلمين ومن قوله دعوتهما واحدة الردُّ على الخوارج ومن اتبعهم في تكفيرهم كلاً من الطائفتين»[1].

وكذلك الحديث الآخر الذي رواه البخاري، عن أبي بكرة ﷺ، قال: بينما النبيُّ ﷺ يخطب، جاء الحسن فقال النبيُّ ﷺ: «ابني هذا سيد ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

وهذا ما وقع من سبط رسول الله ﷺ الحسن بن علي، ﷺ، حيث بايعه المسلمون بعد استشهاد أبيه، فتنازل عن الخلافة ـ طائعاً مختاراً ـ لا لذلة ولا لقلة ولا لعلة، بل رغبة فيما عند الله تعالى، لِما رآهُ من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة وسلّم زمام الخلافة لمعاوية ﷺ. وقال إمام الحرمين الجويني: «ومعاوية ـ وإن قاتل علياً ـ فإنه لا ينكر إمامته ولا يدّعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ﷺ، ظاناً أنه مصيب، وكان مخطئاً»[2].

وجاء في (مقالات الإسلاميين) أن سبيل الصحابة في حربهم كان سبيل الاجتهاد وأنهم جميعاً كانوا مصيبين[3].

وقال الشعبي[4]: «هم من أهل الجنة، لقي بعضهم بعضاً فلم يفرّ أحد من أحد»[5].

---

(١) ابن حجر: فتح الباري، ١٢/ ٣٧٤.

(٢) الجويني: لمع الأدلة، ص ١١٥، لم يسبق إلى ذهن أحد من المسلمين أن هذا الطلب قد اتخذ ستاراً للوصول بمعاوية إلى الخلافة، ولم تكن فكرة قميص عثمان قد اتخذت مثلاً لمن يريد أمراً ثم يتعلل بغيره للوصول إليه، وإنما كان مفهوم هذا الطلب صريحاً، ويتجسد في إقامة حد من حدود الله، لا ينبغي التفريط فيه ولا التباطؤ عن إقامته، لا من الرعية ولا من الراعي. إبراهيم شعوط: أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص ١٦٢، بتصرّف

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين ٢/ ١٣٠.

(٤) الشعبي: (١٩ - ١٠٣هـ = ٦٤٠ـ ٧٢١م) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الحموي، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة، وهو من رجال الحديث الثقات، الزركلي: الأعلام، ٣/ ٢٥١.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٧.

ولكن علياً ﷺ كان أدنى إلى الحق كما دلّت عليه كثير من الروايات، وأن معاوية ومن معه كانوا يمثلون الفئة الباغية، وقد أخطؤوا في تأويلهم، وتشهد لهم نياتهم الصادقة الخالصة في السعي لحضّ السلطان على إقامة الحدود والإسراع في القصاص من الظالمين[1].

يقول الإمام الباقلاني: «ويجب أن نعلم أنَّ ما جرى بين أصحاب النبيِّ ﷺ ورضي عنهم من المشاجرة نكفُّ عنه، ونترحَّم على الجميع، ونثني عليهم ونسأل الله تعالى لهم الرضوان، والأمان، والفوز، والجنان، ونعتقد أن علياً عليه السلام أصاب فيما فعل وله أجران، وأن الصحابة ﷺ إنما صدر منهم ما كان باجتهاد فلهم الأجر ولا يُفَسَّقون ولا يُبدَّعون»[2].

ومما يؤكّد أن علياً ﷺ كان أدنى إلى الحق، وأن الذين قاتلوه في موقعة صفين بغوا عليه، ما روي عن النبيّ ﷺ بشأن عمار بن ياسر ﷺ: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية»[3].

وكان عمار في صف علي، واستشهد معه في صفين، وكان آخر عهده شربة لبن كما أخبره بذلك الحبيب المصطفى ﷺ.

ويقول شيخ الإسلام (ابن تيمية) تعقيباً على هذا الحديث: «إذا كان الباغي مجتهداً ومتأولاً ولم يتبيّن له أنه باغ بل اعتقد أنه على الحق وإن كان مخطئاً لم تكن تسميته باغياً موجبة لإثمه فضلاً عن أن توجب فسقه»[4].

وفي حديث الخوارج الذي رواه أبو سعيد الخدري ﷺ، البيان الواضح على ما ذكرناه من أن الحق كان في جانب علي ﷺ، حيث جاء فيه: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحدة، فبينما هم كذلك مرق منهم مارقة

---

(١) عبد الستار الشيخ: علي بن أبي طالب، ص ٢٥٢، بتصرف.

(٢) الباقلاني: الإنصاف، ص ٥٩.

(٣) أورده ابن كثير من كافة طرقه، ثم قال: وما زاده الروافض في هذا الحديث بعد قوله «الباغية» لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة، فهو كذب على رسول الله ﷺ، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٧٢.

(٤) ابن تيمية: سؤال في معاوية بن أبي سفيان، ص ٣٦.

تقتلهم أَوْلَى الطائفتين بالحق»[1].

وهذه المارقة التي أشار إليها النبيّ ﷺ هم الخوارج، الذين خرجوا على علي ﷺ لقبوله التحكيم، وقد قاتلهم الإمام واستأصل شأفتهم بعد أن عاثوا في المجتمع الإسلامي الفساد، ثم انظر إلى عبارة النبيّ ﷺ: «تقتلهم أولى الطائفتين بالحق».

وهي تدل دلالة واضحة على أن الفريقين كانا على حق، إلا أن أكثر الحق كان في جانب علي ﷺ.

ولم تتردّد عائشة، ﷺ، عن التأكيد بأن الحق كان في جانب علي، عندما بلغها ما بلغها عن ذي الثدية؛ فعندما سألت تلميذها التابعي مسروق بن الأجدع[2] قائلة عندك علم عن ذي الثدية الذي أصابه علي في الحروريّة؟[3] قال: لا، فقالت: فاكتب لي بشهادة من شهدهم، فرجع إلى الكوفة وبها يومئذٍ أسباع، فكتب شهادة عشرة من كلّ سبعٍ، ثم أتاها بشهادتهم، فقرأها عليها، قالت: أكل هؤلاء عاينوه؟ قال: لقد سألتهم فأخبروني بأنهم كلهم عاينوه، فقالت: لعن الله فلاناً فإنه كتب إليّ أنه أصابهم بنيل مصر. ثم أرخت عينيها فبكت، فلما سكنت عبرتها قالت: رحم الله علياً، لقد كان على الحقّ، وما كان بيني وبينه إلاّ كما يكون بين المرأة وأحمائها.

وقال الحافظ ابن كثير معقباً على حديث الخوارج: «فهذا الحديث من دلائل النبوة، إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام؛ ومنه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أن علياً هو المصيب وأن معاوية

---

(١) أخرجه الشيخان وأبو داود وأحمد.

(٢) مسروق بن الأجدع الهمداني: (.....ـ ٦٣هـ = ...ـ ٦٨٣م) الوادعي أبو عائشة: تابعي ثقة، من أهل اليمن، قدم المدينة في أيام أبي بكر وسكن الكوفة، الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢١٥.

(٣) الحروريّة: هم الخوارج، سمّوا بذلك نسبة إلى قرية في الكوفة تسمى حروراء خرجوا إليها.

مجتهد، وهو مأجور إن شاء الله، ولكن علياً هو الإمام فله أجران»[1].

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: «وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن علياً ومن معه كانوا على الحق، وأن من قاتلهم كانوا مخطئين في تأويلهم والله أعلم»[2].

أمر الخوارج بعد النهروان

بعد أن فتك علي بمن بقي من الخوارج، ندم الذين انحازوا إلى راية أبي أيوب، ومن ذهب منهم إلى الكوفة، وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم، فقام فيه المستورد أحد كبرائهم، وحثّهم على قتال علي، فخرجوا إلى النخيلة، فأرسل إليهم عبد الله بن عباس ناصحاً، فأبوا فسار إليهم علي فاستأصل شأفتهم ولم ينج منهم إلاّ خمسة نفر، منهم المستورد.

ولما فرغ أمير المؤمنين من هؤلاء، أمر أصحابه بالتوجه إلى الشام لقتال معاوية ومن معه، فلم ينشطوا لذلك، فتركهم أياماً، ثم راحوا يتسللون من معسكرهم، فدخلوا الكوفة إلّا رجالاً من وجوه الناس قليلاً، وترك العسكر خالياً، فلما رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير.

وقد سجّل الثقفي في كتابه الغارات خبر انصراف شيعة علي رضي الله عنه في الكوفة، وشكوا إليه البرد والجراحات، فقال لهم: إن عدوكم يألم كما تألمون، ويجدون البرد كما تجدون، فأعيوه وأبوا، فلما رأى كراهيتهم رجع إلى الكوفة، وأقام بها أياماً، وتفرّق عنه كثير من أصحابه. وتابع الثقفي قائلاً: لما كره الناس المسير إلى الشام أقبل بهم علي عليه السلام حتى نزل النخيلة، وأمر الناس أن يلزموا معسكرهم، ويوطئوا على الجهاد أنفسهم، وأن يقلّوا زيارة أبنائهم ونسائهم، حتى يسيروا إلى عدوّهم.

وأضاف أن الناس أقاموا بالنخيلة مع علي عليه السلام أياماً يتسللون ويدخلون

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٨٠.

(٢) ابن حجر: فتح الباري ٦/ ٧١٦، حديث (٣٦١١).

المصر، فنزل وما معه من الناس إلاّ رجال من وجوههم قليل، وترك المعسكر خالياً، فلا من دخل الكوفة خرج إليه، ولا من أقام معه صبر، فلما رأى ذلك دخل الكوفة[1].

«وإذا كانت هذه حال الجيش، فلا تستغرب ما آل إليه حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فإن سلطته سارت إلى الوراء كل يوم في نقصان، وهو كل ساعة يحرِّضهم بما آتاه الله من فصاحة اللسان وبلاغة القول، وهم لا يزدادون إلا فتوراً، وقليل منهم الذي أخلص له القول والعمل، وكثرت عليه الخوارج بحجتهم التي اتخذوها وهي: أنه حكّم الرجال في دين الله، ولا حكم إلّا لله»[2].

وكان فيمن خرج عليه الخرِّيت بن راشد الناجي في ثلاثمئة من بني ناجية. أقبل عليه مجاهراً بخروجه عليه بكلّ وقاحة، فناظره علي ﷺ، محاولاً إعادته إلى جادة الصواب، إلّا أنه ظلَّ مصراً مكابراً، وخرج من عنده منصرفاً إلى أهله، فخرج زياد بن حفصة البكري في أثره بعد أن استأذن أمير المؤمنين للّحاق به وبأصحابه، خشية أن يفسد الناس عليه، فسار زياد حتى أتى دير أبي موسى، فنزله يوماً ينتظر أمر علي، ثم علم بقتل الخرِّيت لرجل من الدهاقين كان قد أسلم، فأرسل قرظة بن كعب إلى عليّ يخبره بذلك، فكتب إلى زياد يأمره أن يتبع آثارهم، ويطلب منهم قتلة ذلك الدهقان، فسار زياد حتى لحقهم بالمذار[3]، وناظر الخرِّيت إلاّ أنه لم يصل إلى نتيجة، ثم طلب إلى الخرِّيت أن يدفع إليه قتلة الدهقان فلم يجبه إلى ذلك، فقاتلهم زياد إلى الليل، وفرَّ الخرِّيت ومن معه ليلاً فرجع زياد إلى البصرة لمداواة الجرحى، وأرسل إلى علي بالخبر، فأرسل إلى الخوارج معقل بن قيس الرياحي في ألفين، وكتب إلى ابن عباس بالبصرة أن يمده بألفين من أهلها، فسار معقل ولحقه مدد أهل البصرة، فوافوا الخوارج قرب جبل من جبال رامهرمز فقاتلوهم، واستأصلوا جموعهم، ولم ينج منهم إلّا الخرِّيت مع بعض أصحابه، فأمر علي معقلاً أن يتبعه، فتبعه حتى أجهز على بقية من معه،

(١) ابن الأثير: تاريخ، ٣/١٧٦.

(٢) محمد الخضري بك: إتمام الوفاء، ص ١٩٤.

(٣) المذار: بلدة بين واسط والبصرة.

وقتل الخرِّيت. ثمّ خرج على أمير المؤمنين بعد ذلك جماعات كثيرة من الخوارج، فقضى عليها تباعاً، إلّا أنه لم يستطع إبادتهم، وبقيت منهم بقيّة، انضم إليهم من مال إلى رأيهم، فدبَّروا قتل أمير المؤمنين على يد عدو الله ابن ملجم كما سيأتي تفصيله.

استيلاء عمرو بن العاص رضي الله عنه على مصر

وكان من خبرها، أن علياً لما بويع أرسل إليها قيس بن سعد بن عبادة، فبايعه أهلها، إلا جماعة منهم اعتزلوا بخربتا عليهم يزيد بن الحارث الدِلجي، أعظموا قتل عثمان، ودخل معهم مسلمة بن مخلد، فكفَّ عنهم قيس لعلمه أنهم لا يشكلون خطراً على دولة الخلافة، فلما علم بذلك أمير المؤمنين كتب إليه يأمره بقتالهم، فكتب إليه قيس ينصحه بالكفّ عنهم، فعزله أمير المؤمنين عن مصر، وولاّها محمد بن أبي بكر الصدّيق، وبعد شهر من مقدمه أرسل إلى المعتزلين بخربتا يخيّرهم بين الطاعة أو الخروج من مصر، فطلبوا إليه أن يمهلهم حتى ينظروا في أمرهم، فأبى عليهم، فامتنعوا وأخذوا حذرهم، وكانت حينذاك وقعة صفين، فتمت وهم حذرون من محمد، فلما حصل التحكيم طمعوا فيه ونابذوه، فأرسل إليهم سرية لقتالهم، فقتلوا رئيسها، فأرسل أخرى فقتلوا رئيسها، ثم خرج معاوية بن خديج السكوني مطالباً بدم عثمان، فلما علم أمير المؤمنين بذلك، عزَلَ محمد بن أبي بكر، وبعث الأشتر النخعي عاملاً على مصر، فقتل في الطريق مسموماً، ولم يصل إليها.

فلما كانت سنة ثمانٍ وثلاثين أرسل معاوية عمرو بن العاص في ستة آلافٍ فسار حتى نزل أداني مصر، فجاءه من خالف على محمد بن أبي بكر، وطالب بدم عثمان، فاجتمع بهم، وكتب إلى محمد: أما بعد ... فتنحّ عني بدمك يا بن أبي بكر، فإني لا أحبّ أن يصيبك مني ظفر، إن الناس في هذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم مسلمون، فاخرج منها إني لك من الناصحين.

فكتب محمد إلى عليّ بالخبر، واستمدّه، ثم لم يلبث عمرو أن تغلّب على محمد بن أبي بكر، فدانت له مصر، وقتل محمد بن أبي بكر.

وبعد أن تمّ لمعاوية أمر مصر، سيّر إلى البصرة عبد الله بن الحضرمي، وكان عليها إذ ذاك زياد بن أبي سفيان خليفة لابن عباس، فاجتمع إلى ابن الحضرمي جمع كثير من بني تميم كانوا يطلبون بدم عثمان، فلما علم بذلك أمير المؤمنين أرسل أعين بن ضبيعة المجاشعي التميمي ليفرق تميم عن ابن الحضرمي، فقتل غيلة، فلما بلغ ذلك علياً أرسل جارية بن قدامة السعدي، فسار إلى البصرة، وقرأ على أهلها كتاب أمير المؤمنين، يهدّدهم ويتوعّدهم فيه بحرب أشد من وقعة الجمل، فأجابه أكثر أهلها، فسار إلى ابن الحضرمي وقاتله ومن معه، فانهزم وتحصَّن بقصر سنبيل، وأحرق جارية القصر بمن فيه، فمات ابن الحضرمي وسبعون رجلاً معه.

ثمّ صار معاوية يوجّه السرايا إلى بلاد أمير المؤمنين ليدخلها في طاعته، وسيّر يزيد ابن شجرة إلى مكة ليحجّ بالناس، ويبايع أهلها على طاعته، وكان واليها من قبل علي قثم بن العباس، وليس عنده قوّة يقاتل بها، فلم يقدم على القتال، فأما ابن شجرة فأمّن الناس إلاّ من قاتل، وأرسل إلى أبي سعيد الخدري يخبره أن يأمر قثم ألاّ يصلي بالناس، وأن يختار الناس من يصلّي بهم، فاختاروا شيبة بن عثمان، فصلّى بهم، وتم الحجُّ بسلام، ولم يحصل إلحاد في الحرم، حذراً من وعيده تعالى في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

وصارت السرايا بعد ذلك تتردد بين الجهتين، وكلٌّ يريد جمع الكلمة، فلم يتيسر لأحدهما، ولكن أهل الحجاز واليمن دخلوا في طاعة معاوية، حينما سيّر إليهما بسر بن أرطأة العامري، فلم يعد مستمسكاً ببيعة أمير المؤمنين إلا العراق وما والاها من بلاد فارس، وكلها نار تضطرم بالخلاف والشقاق، فريق شيعة عليّ، وآخرون خوارج لا يريدون علياً ولا معاوية، وفريق منافق يظهر طاعة علي ويخفي عداءه، فملّهم أمير المؤمنين وسئم إمارته عليهم حتى خاطبهم بذلك في كثير من خطبه[1].

---

(١) محمد الخضري بك: إتمام الوفاء، ص ١٩٩.
وكان علي ﷺ محقاً حينما أبدى عزوفه عن الخلافة في أول الأمر، كما سيأتي تفصيله.

مقتل أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه

توالت الفتن والخطوب على أمير المؤمنين، وتنغّصت عليه الأمور، واضطرب عليه جيشه، وخالفه أهل العراق، ونكلوا عن القيام معه، في الوقت الذي استفحل فيه أمر أهل الشام، وصالوا يميناً وشمالاً، واجتمعوا على أميرهم معاوية رضي الله عنه، فلما رأى عليّ ذلك، وأن جنده قد خذلوه وتخلّوا عن نصرته، وكثرت الفتن، وظهرت المحن، كره الحياة، وتمنى الموت، فكان يكثر أن يقول: ما يحبس أشقاها؟ ما له لا يقتل؟! ثم يقول: والله لتخضبنَّ هذه ـ ويشير إلى لحيته ـ من هذه ـ ويشير إلى هامته[1].

وكان علي رضي الله عنه لما دخل رمضان سنة أربعين للهجرة، يتعشى ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند أبي جعفر، لا يزيد على ثلاث لقم، يقول: أحبّ أن يأتيني أمر الله وأنا خميص، وإنما هي ليلة أو ليلتان، فلم تمضِ ليلة حتى قتل.

وكان سبب قتله أن عبد الرحمن بن مَلْجَم المرادي، والبُرَكْ بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكر التميمي السعدي، وهم من الخوارج، اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس، وعابوا عمل ولاتهم، ثمّ ذكروا أهل النهروان فترحّموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة، وأرحنا

---

(١) عبد الستار الشيخ: علي بن أبي طالب، ص ٢٩٥، بتصرف.

وقد أخبر رسول الله ﷺ، علياً بذلك، قال: «ألا أحدّثك بأشقى الناس رجلين؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه (يعني قرنه) حتى يبل هذه، يعني لحيته. أخرجه عن عمار بن ياسر كما في البداية، ٦/ ٢١٨.

وكان علي رضي الله عنه راسخ اليقين بمصيره المحتوم؛ فقد أصابه ذات يوم مرض شارف منه على الهلاك، حتى خاف عليه أصحابه، وجاءه أحد الأنصار فقال له: ما يقيمك بهذا المنزل؟ ولو مت لم يلك إلا أعراب جهينة؟! احتمل حتى تأتي المدينة، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك، فقال علي: إني لست ميتاً من وجعي هذا، إن رسول الله ﷺ عهد إليّ أن لا أموت حتى أؤمَّر، ثم تختضب هذه من هذه ـ يعني لحيته من دم هذه ـ يعني هامته. انظر المنتخب، ٥/ ٥٩، ومجمع الزوائد، ٩/ ١٣٧، والمستدرك ٣/ ١١٣، والبداية والنهاية، ٦/ ٢١٨.

منهم البلاد؟ فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علياً ـ وكان من أهل مصر ـ وقال البُرَك: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص.

فتعاهدوا أن لا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، وأخذوا سيوفهم فسمّوها، واتّعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان، وقصد كل رجل منهم الجهة التي يريد، فأتى ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه بالكوفة وكتمهم أمره، فبينما هو جالس في قوم من بني الرِّباب، يتذاكرون قتلاهم يوم النهروان، إذ أقبلت امرأة منهم يقال لها قَطَام بنت الشِّجنَة، قد قتل علي يوم النهروان أباها وأخاها، وكانت فائقة الجمال، فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله، ونسي مهامّته التي جاء من أجلها، وخطبها إلى نفسها، فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم، وخادماً وقينة، وقتل علي ﷺ فأجابها قائلاً: والله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي فلكِ ما سألتِ.

ثم شرعت تحرّضه على ذلك، وندبت له رجلاً من قومها يقال له وَرْدان، فكلمته في الانضمام إلى ابن ملجم فأجابها، واستمال ابن ملجم رجلاً آخر اسمه شبيب بن بجرة الحروري، وأخبره بنيته في قتل عليّ، فأجابه هو الآخر.

فاتّعد ثلاثتهم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وقال ابن ملجم: هذه الليلة التي واعدت فيها صاحبيَّ أن يقتل كلّ منّا صاحبه.

وجاء ابن ملجم وصاحباه، وكمنوا بأسلحتهم مقابل السُّدَّة التي يخرج منها عليّ إلى الصلاة، فلما خرج وهو يوقظ الناس من النوم للصلاة، ضربه شبيب بالسيف، فوقع بعِضادة الباب[1]، وضربه ابن ملجم على قرنه بالسيف، وقال: الحكم لله لا لك يا عليّ ولا لأصحابك.

فصاح علي ﷺ: لا يفوتنكم الرجل، فشد الناس عليه فأخذوه، وتأخر علي وقدّم جعدة بن هبيرة يصلّي بالناس صلاة الفجر.

ثم أمر علي بإحضار ابن ملجم، فأدخِل عليه، فقال: أي عدو الله، ألم أحسن

---

(١) عِضادة الباب: جانب العتبة من الباب.

إليك؟ قال: بلى، قال: فما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه، فقال عليّ: لا أراك إلا مقتولاً به ولا أراك إلا من شر خلق الله، ثم قال: النفس بالنفس، إن هلكت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي، يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون: قد قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلن إلا قاتلي، انظر يا حسن، إن أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور».

ودخل عليه جندب بن عبد الله، فقال: إن فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن؟ قال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنت أبصر. ثم دعا الحسن والحسين، فقال لهما: أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زُوِيَ عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضائع، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصيماً، وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في كتاب الله، ولا تأخذكما في الله لومة لائم.

ثم نظر إلى محمد بن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم.

قال: فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك، العظيم حقهما عليك فاتبع أمرهما ولا تقطع أمراً دونهما.

ثم قال: أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه، وقال للحسن: أوصيك أي بنيّ بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلّها، وحسن الوضوء لا صلاة إلا بطهور، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عن الجاهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش.

ولما طلبوا منه أن يستخلف عليهم، أبى قائلاً: لا، ولكن أترككم كما تركككم رسول الله ﷺ[1].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، ١/ ١٣٠، وابن أبي شيبة في المصنف، ١٤/ ٥٦، ١٥/ ١١٨، وأبو يعلى (٣٤١)، والبزار (٨٧١)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، ٩/ ١٣٧.

ثم كتب وصيته ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى فاضت روحه ﷺ.

فولي غسله ابناه الحسن والحسين، ثمّ صلى عليه ابنه الحسن، ودفِن بدار الإمارة بالكوفة، خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته[1].

ولما قبض علي ﷺ، أُخرج ابن ملجم من سجنه فضربت عنقه.

وأما البُرك بن عبد الله، فإنه في تلك الليلة التي ضُرِبَ فيها علي قعد لمعاوية، فلما خرج ليصلّي الغداة شدّ عليه بسيفه فوقع السيف في إليته، فأمر به معاوية فقتل. وأما عمرو بن بكر، فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه فأمر خارجة بن حذافة وكان صاحب شرطته، فخرج ليصلّي فشدّ عليه وهو يحسب أنه عمرو، فضربه فقتله، فأخذه الناس فانطلقوا به إلى عمرو، فقدّمه فقتله.

ذكر بعض سيرته ﷺ

كان لأمير المؤمنين علي ﷺ من الفضائل ما لا يُحصى، وحسبه شرفاً أنه كان أوّل الفتيان إسلاماً، وابن عمّ رسول الله ﷺ تربّى في بيته وعلى عينه.

كان ﷺ من الشجاعة بالمحل الأسنى، ومن التقوى في عليائها، ومن العلم في قممه السامقة؛ كان أبو رافع مولى رسول الله ﷺ خازناً لعلي على بيت المال، فدخل علي يوماً وقد زينت ابنته فرأى عليها لؤلؤة كان عرفها لبيت المال، فقال: من أين لها هذه؟ لأقطعنّ يدها. فلما رأى أبو رافع جدّه في ذلك فقال: أنا والله يا أمير المؤمنين زينتها بها، فقال عليّ: لقد تزوجت بفاطمة ومالي فراش إلا جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، وما لي خادم غيرها.

قال ابن عباس: قسم علم الناس خمسة أجزاء فكان لعليّ منها أربعة أجزاء، ولسائر الناس جزء شاركهم عليّ فيه فكان أعلمهم به.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: «ومن قال إنه حمل على راحلته فذهبت به فلا يدرى أين ذهب فقد أخطأ وتكلف ما لا علم له به ولا يسيغه عقل ولا شرع» البداية والنهاية، ٧/ ٣٣٠.

وقال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب النبي ﷺ ما جاء لعلي.

وقال عمرو بن ميمون: لما ضرب عمر بن الخطاب، وجعل الخلافة في الستة من الصحابة فلما خرجوا من عنده قال: إن يولوها الأجلح يسلك بهم الطريق.

فقال له ابنه عبد الله: فما يمنعك يا أمير المؤمنين من توليته؟! قال: أكره أن أتحمّلها حياً وميتاً.

وعن هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على عليّ بالخورنق، وهو فصل شتاء، وعليه خلق قطيفة، وهو يرعد فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين: إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل هذا بنفسك؟!

فقال: والله ما أرزأكم شيئاً وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة، وقال يحيى بن سلمة: استعمل عليّ عمرو بن سلمة على أصبهان فقدم ومعه مال وزقاق فيها عسل وسمن، فأرسلت أم كلثوم بنت علي إلى عمرو تطلب منه سمناً وعسلاً، فأرسل إليها ظرف عسل وظرف سمن، فلما كان الغد خرج علي وأحضر المال والعسل والسمن ليقسم، فعدَّ الزقاق فنقصت زقين فسأله عنها فكتمه، وقال: نحن نحضرهما، فعزم عليه إلا ذكرهما له، فأخبره فأرسل إلى أم كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا، فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما، فكان ثلاثة دراهم، فأرسل إليها فأخذها منها، ثم قسم الجميع.

وقيل: إنه أخرج سيفاً له إلى السوق فباعه وقال: لو كان عندي أربعة دراهم ثمن إزار لم أبعه.

وقال الشعبي: وجد علي درعاً له عند نصراني فأقبل به إلى شريح وجلس إلى جانبه، وقال: لو كان خصمي مسلماً لساويته، وقال: هذه درعي، فقال النصراني: ما هي إلا درعي ولم يكذب أمير المؤمنين، فقال شريح لعليّ: ألك بينة؟ قال: لا، وهو يضحك فقضى بها للنصراني، فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيراً ثم عاد وقال: أشهد أن هذه أحكام الأنبياء أمير المؤمنين قدّمني إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه، ثم أسلم، واعترف أن الدرع سقطت من علي عند مسيره إلى صفين. ففرح علي بإسلامه، ووهب له الدرع وفرساً، وشهد معه قتال الخوارج.

بيعة الحسن بن عليّ رضي الله عنهما

لما استشهد علي رضي الله عنه، بايع أهل الكوفة ابنه الحسن، وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة، قال له: ابسط يدك، أبايعك على كتاب الله وسنة نبيّه، فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده، وكان قيس بن سعد على إمرة أذربيجان، تحت إمرته أربعون ألف مقاتل، قد بايعوا علياً على الموت، فلما مات عليّ، ألحّ قيس على الحسن في النفير لقتال أهل الشام، ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يسمع بمثله، فسير الحسن قيس بن سعد في اثني عشر ألف مقاتل طليعة له، وسار هو بالجيوش في أثره قاصداً بلاد الشام، فلما اجتاز بالمدائن نزلها، وقدّم المقدمة بين يديه، فبينما هو في المدائن معسكراً بظاهرها، إذ صرخ في الناس صارخ: ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل، فثار الناس فانتهبوا أمتعة بعضهم بعضاً، حتى انتهبوا سرادق الحسن، حتى نازعوه بساطاً كان جالساً عليه، فطعنه أحدهم حين ركب طعنة أثبتته وأشوته، فكرههم الحسن رضي الله عنه كراهية شديدة، وركب فدخل القصر الأبيض من المدائن، فنزله وهو جريح، وكان عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي - أخو أبي عبيد صاحب يوم الجسر - فلما استقر الجيش بالقصر، قال المختار بن أبي عبيد قبحه الله لعمه سعد بن مسعود: هل لك في الشرف والغنى؟ قال: ماذا؟ قال: تأخذ الحسن بن علي، فتقيده، وتبعثه إلى معاوية، فقال له عمّه: قبحك الله وقبح ما جئت به، أغدر بابن بنت رسول الله ﷺ؟!

ولما رأى الحسن رضي الله عنه تفرق جيشه عليه، مقتهم، وكتب عند ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان يبذل له الصلح ويشترط عليه شروطاً، فأرسل له بصك مختوم ليس فيه كتابة، وطلب إليه أن يشترط لنفسه ما يشاء.

فكتب فيه الحسن شروطاً، أهمّها: تأمين جيشه وشيعة علي كلهم، فقبلها معاوية، وقدم إلى العراق فقابله الحسن بجيشه، وبايعه بالخلافة هو وجنده، وكان ذلك في سنة إحدى وأربعين للهجرة، وسمّي ذلك العام بعام الجماعة.

وقد تحققت نبوءة رسول الله ﷺ في ولده الحسن رضي الله عنه، حيث يقول رسول الله ﷺ: «إن ابني سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين، عظيمتين»[1].

وكانت مدة خلافة الحسن رضي الله عنه خمسة أشهر ونصف، وقيل ستة، وقيل غير ذلك. والله أعلم.

وبتسليمه مقاليد الخلافة لمعاوية طويت صفحة الخلافة الراشدة، وانقضى الدور الثاني من دولة الخلفاء الراشدين، وهو دور الفتن والشقاق، وكان مبدؤه من قيام المتآمرين المتمردين على عثمان رضي الله عنه، ونهايته تسليم الحسن الخلافة لمعاوية.

الدوافع الحقيقية من وراء تخلي الحسن عن الخلافة

الأمر الذي لا مراء فيه، أن أحداً لم يجبر الحسن رضي الله عنه على التنازل عن الخلافة لمعاوية، ولكنه تنازل عنها طائعاً مختاراً لكثير من العوامل، أهمّها: فرقة الكلمة لدى أتباعه، وتخاذلهم عن نصرته، وجبلَّته التي جبله الله تعالى عليها، والتي دفعته إلى الصلح لحقن دماء المسلمين.

وعندما لحق الحسن بالمدينة مع أهل بيته قيل له: ما حملك على ما فعلت؟! قال: كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يثق بهم أحدٌ أبداً إلا غلب، ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هواء، مختلفين، لا نية لهم في خير ولا شرّ، لقد لقي أبي منهم أموراً عظاماً، فليت شعري لمن يصلحون بعدي؟ وهي أسرع البلاد خراباً![2].

كما أدرك الحسن رضي الله عنه أن الفتن ستأكل الأخضر واليابس، وأنه سيعرض المسلمين لحرب لا يعلم كيف ستكون نهايتها إلا الله، في الوقت الذي كان يدرك فيه تهافت أتباعه، واحتمال تخلّفهم عن نصرته إذا جدّ الجد، وقد خذلوا أباه من قبله، وليس أدلّ على ذلك من احتجاجه على أصحابه ممّن أنكر عليه مصالحته مع معاوية، ونسبه إلى التقصير في طلب حقّه، وهذا الكلام ينقله مصدر من المصادر

---

(١) رواه الشيخان وأحمد والنسائي والترمذي وصححه أبو داود والحاكم.

(٢) ابن الأثير: تاريخ، ٣/ ٢٠٤.

الشيعية المعتبرة؛ يقول الحسن: أرى والله أن معاوية خير لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي، وأخذوا مالي، والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وأومن به في أهلي، خير لي من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً، والله لئن أسالمه وأنا عزيز، خير من أن يقتلني وأنا أسير[1].

وليس أدل على ذلك أيضاً من الخطب الكثيرة التي تظهر بوضوح سخط أمير المؤمنين عليّ وتبرّمه من أتباعه الذين كانوا ينفضّون عنه ويخذلونه ساعة الشدّة؛ من ذلك قوله في خطبة له، بعد أن تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، فقام ﷺ إلى المنبر ضجراً بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي فقال: إني والله لأظنّ أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرّقكم عن حقكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحق وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم، فلو ائتمنت أحدكم على قُعبٍ[2] لخشيت أن يذهب بعلاقته، اللهم إني قد مللتهم وملّوني وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني، اللهم مث قلوبهم[3] كما يماث الملح في الماء، أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم[4].

وقال في خطبة أخرى في معرض حديثه عن أهمية الجهاد، واعتذار أصحابه في كل مرة عن القيام بأعبائه: فيا عجباً والله يميت القلب ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقكم، فقبحاً وترحاً[5] حين صرتم غرضاً

---

(١) الطبرسي: الاحتجاج، ٢/ ٢٩٠.

(٢) القُعب: بضم القاف، القدح الضخم.

(٣) مث قلوبها: أذابها، ماثه يميثه دافه أي أذابه.

(٤) بنو فراس بن غنم بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، حيّ مشهور بالشجاعة.
وقد أورد هذه الخطبة الشريف الرضي في نهج البلاغة، ١/ ٤٨، والمفيد في الإرشاد، ص ١٤٦، والثقفي في الغارات، ص ٣١٧، ٣٣٥، ٤٣٧، والطبرسي في الاحتجاج، ص ١/ ١٧٥.

(٥) ترحاً: بالتحريك أي: هماً وحزناً أو فقراً.

يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرّ قلتم هذه حمّارة القيظ[١] أمهلنا حتى يسبخ[٢] عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القرّ[٣]، أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فراراً من الحرّ والقرّ، فإن كنتم من الحرّ والقرّ تفرّون فإذاً أنتم والله من السيف أفرّ، يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال[٤]، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرت ندماً وأعقبت سدماً[٥]، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتموني نغب التهام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب[٦].

وقال في خطبة أخرى وهو يعرب عن سخطه لاستبطائه من قعد عن نصرته: أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب[٧]، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتم حِيْدِيْ حِياد[٨].

ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم، أي دار بعد داركم تمنعون؟ مع أي إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فقد

---

(١) حمارة القيظ: القيظ شدّة الحرّ.

(٢) السبيخ: بالحاء المعجمة التخفيف والتسكين.

(٣) صبّارة الشتاء شدّة برده، والقرّ بالضم: البرد.

(٤) ربات الحجال: الحجال: جمع حجلة، وهي القبة وموضع يزين بالستور والثياب للعروس، وربات الحجال: النساء.

(٥) سدماً: السدم الهم، أو مع أسف أو غيظ.

(٦) الشريف الرضي: نهج البلاغة بشرح محمد عبده، ١/ ٥٠ - ٥١، والثقفي: الغارات، ص ٣٣٨ و ٤٧٣، والطبرسي: الاحتجاج، ١/ ١٧٥.

(٧) الصم: جمع أصم وهو من الحجارة الصلب. ومعناه أنكم تقولون من الكلام ما يفلق الحجر بشدته وقوته، ثم يكون فعلكم من الضعف والاختلال بحيث يطمع فيكم العدو.

(٨) حيدي حياد: كلمة يقولها الهارب كأنه يسأل الحرب أن تتنحى عنه من الميدان، وهو الميل والانحراف عن الشيء.

فاز والله بالسّهم الأخيب[١].

وقال في خطبة له: أفٌّ لكم لقد سئمت عتابكم، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالذل من العز خلقاً؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة[٢]، ومن الذهول في سكرة[٣].

وقال في خطبة أخرى: مُنيت[٤] بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبالكم ما تنتظرون بنصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم، ولا حمية تحمشكم[٥]؟ أقوم فيكم مستصرخاً وأناديكم متغوثاً فلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي أمراً، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة فما يُدرك بكم ثأر، ولا يبلغ بكم مرام. دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الأسرّ، وتثاقلتم تثاقل النضو الأدبر[٦]، ثم خرج إليّ منكم جنيد متذائب ضعيف كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون[٧].

ويقول وهو يصف أتباعه بقوله: ولكني منيت بأخبث قوم على وجه الأرض، أدعوهم فلا يتّبعوني، فإذا تابعتهم على ما يريدون تفرّقوا عني[٨].

وبعد مقتل محمد بن أبي بكر، كتب برسالة إلى عبد الله بن عباس ﵄ عبّر فيها عن سخطه من أصحابه، ومّما جاء فيها: ودعوتهم سراً وجهراً، وعوداً

---

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة بشرح محمد عبده، ١/ ٥٣ - ٥٤، المفيد: الإرشاد، ص ١٤٦، الثقفي: الغارات، ص ٣٣٣، والطبرسي: الاحتجاج، ١/ ١٧٤.

(٢) دوران الأعين اضطرابها من الجزع، ومن غمره الموت يدور بصره.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة بشرح محمد عبده، ١/ ٥٩، والثقفي: الغارات، ص ٢٣.

(٤) مُنيت: بليت.

(٥) حمشه: كنصره، وحمش القوم ساقهم بغضب.

(٦) الجرجرة: صوت يردده البعير في حنجرته، والأسر المصاب بداء السرر وهو مرض في الكركرة ينشأ من الدبرة، والنضو المهزول من الإبل، والأدبر المدبور أي المجروح المصاب بالدبرة بالتحريك وهي ا لعقر والجرح من القتب ونحوه.

(٧) الشريف الرضي: نهج البلاغة بشرح محمد عبده، ١/ ٦٤.

(٨) الثقفي: الغارت، ص ٤٤.

وبدءاً، فمنهم الآتي كرهاً، ومنهم المعتل كذباً، ومنهم القاعد خاذلاً، أسأل الله تعالى أن يجعل لي منهم فرجاً ومخرجاً، وأن يريحني منهم عاجلاً[1].

وقال في خطبة أخرى: أما والذي نفسي بيده ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطائكم عن حقي، ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي، استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا ...

أيها الشاهدة أبدانكم، الغائبة عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدّرهم فأخذ مني عشرة وأعطاني رجلاً منهم، يا أهل الكوفة منيت بكم بثلاث واثنتين: صمٌّ ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعميٌ ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء، تربت أيديكم، يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلما جُمِعَت من جانب تفرّقت من جانب آخر[2].

وكان يحضّهم على لقاء عدوّهم، فلما رأى منهم ضعفاً وعجزاً، قال: والله لوددت أن لي بكلّ ثمانية منكم رجلاً منهم، ويحكم اخرجوا معي ثمّ فرّوا إن بدا لكم[3].

ولم تكن هذه الحقيقة لتخفى على الحسن ﷺ، وهو يشاهد بأمّ عينه ما حفظه عن أبيه حول أولئك الأتباع الناكصين على الأعقاب، وليس أدلّ على شدّة ذكائه، ومعرفته لمعدن أولئك القوم الذين كانوا حوله من قوله لأخيه الحسين ﷺ، بعد

---

(١) الثقفي: الغارت، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٢) الشريف الرضي: نهج البلاغة بشرح محمد عبده، ١/ ١٣٠، المفيد: الإرشاد، ص ١٤٩، والطبرسي: الاحتجاج، ١/ ١٧٤.

(٣) المفيد: الإرشاد، ص ١٤٥.

أن أغلظ له في القول، بسبب عزمه على إبرام الصلح مع معاوية: اسكت فأنا أعلم بالأمر منك[1].

وقد علم من التجربة أنهم سيتخلون عنه كما سبق وتخلّوا عن أبيه[2].

وحين صالح معاوية، قام رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثمّ قال: إن أكيس الكيس التّقىٰ، وإن أعجز العجز الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية حق لامرئ وكان أحق بحقه مني، أو حق لي فتركته لمعاوية إرادة استصلاح المسلمين وحقن دمائهم، ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١]، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم[3]. وقال له رجل: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فبلغ من سعة حلمه أن قال له: لا تقل ذلك يا أبا عامر، لم أذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلهم في طلب الملك[4].

وعندما أعلن عن عزمه على مصالحة معاوية لحقن دماء المسلمين، طعنوا فيه وخالفوه ورجعوا عن إمامته وكفّروه، وشدّوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا مصلاّه من تحته وأخذوا عنه بعض ثيابه، فلما انتهى إلى مظلم ساباط وثب عليه رجلٌ من هنالك يقال له الجراح بن سنان، فأخذ بلجام دابته ثم قال: الله أكبر أشركت كما أشرك أبوك من قبل، وطعنه بمغول في أصل فخذه فقطع الفخذ إلى العظم، فاعتنقه الحسن وخرّا جميعاً فاجتمع الناس على الجرّاح، فوطؤوه حتى قتلوه، ثم حُمل الحسن على سرير فأتِيَ به المدائن فلم يزل يعالج بها في منزل سعد بن مسعود الثقفي حتى صلحت جراحته، ثم انصرف إلى المدينة فلم يزل جريحاً من طعنته كاظماً لغيظه متجرعاً لريقه على الشجا والأذى من أهل دعوته حتى توفي رضي الله عنه[5].

---

(١) الطبري: تاريخ، ٣/ ١٦٥.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر تاريخ الطبري، ٣/ ١٦٨، والبداية والنهاية، ٨/ ١٥.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٣/ ١٧٥، وأبو نعيم بن حماد في الفتن عن سفيان كما في المنتخب، ٥/ ٤٥٠.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٣/ ١٧٥، كما أورده ابن عبد البر في الاستيعاب، ١/ ٣٧٢ وابن كثير في البداية والنهاية، ٨/ ١٩ .

(٥) النوبختي: فرق الشيعة، ص ٢٤ والإربلي: كشف الغمّة، ٢/ ١٣٦، وذكره الطبري مختصراً، ٢/ ٥٢٢ و٣/ ١٦٥، و١٦٧ و١٦٩.

خاتمة

إلى هنا نأتي على الصفحة الأخيرة من هذه المرحلة من التاريخ الإسلامي، تلك التي لم يعرف التاريخ البشري أكثر صفاء وإشراقاً منها، لولا بعض الغيوم التي لبدتها، من خلال الفتن التي وقعت زمن عثمان وعلي ﷺ، والتي اكتوى المسلمون ولا يزالون يكتوون بنارها؛ نتيجة الجهل والغلو والتطرف. وإذا ما حزم المسلمون أمرهم على العودة إلى أصالة الإسلام، والتخلص من حالة الذل والتقوقع، للإقلاع من جديد، فلا بدّ أن يُحسنوا فهم تاريخهم، ويكفّوا ألسنة السفهاء عن الصحابة رضوان الله عليهم، ويعملوا على التماس العبر والعظات لما فيه خير هذه الأمة في حاضرها ومستقبلها.

obeikandl.com

لائحة مصادر ومراجع أهل السنة والجماعة

القرآن الكريم

ـ باب الألف

١ ـ ابن الأثير: علي بن محمد

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ الكامل في التاريخ: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م.

٢ـ ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم

ـ سؤال في معاوية بن أبي سفيان: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١.

ـ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م

ـ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣ـ ابن الجوزي: جمال الدين عبد الرحمن

ـ صفة الصفوة: تحقيق محمود فاخوري، دار الوعي بحلب، مطبعة الأصيل بحلب، ط١، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٤ ـ ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني

ـ الإصابة في تمييز الصحابة: مكتبة المثنى، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٢٨هـ.

ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

ـ تقريب التهذيب: تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، ط١.

obeikandi.com

٥ ـ ابن حجر: أحمد بن حجر الهيتمي:

ـ تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

ـ الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م.

ـ الصواعق المحرقة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٦ـ ابن حنبل: أحمد

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل: دار صادر بيروت، لبنان.

٧ـ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد

ـ تاريخ ابن خلدون المسمّى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: دار الفكر، بيروت لبنان، ط٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٨ ـ ابن سعد: محمد

ـ الطبقات الكبرى: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٩ـ ابن عبد البرّ: أبو عمر يوسف

ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بهامش الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني: مكتبة المثنّى، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٢٨هـ.

١٠ـ ابن عبد ربّه: أحمد بن محمد الأندلسي

ـ العقد الفريد: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠م.

١١ـ ابن العربي: القاضي أبو بكر

ـ العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ: تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة العلمية بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

obeikandl.com

١٢ـ ابن كثير: إسماعيل بن عمر

ـ البداية والنهاية: مكتبة المعارف بيروت، لبنان، ط٦، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٥م.

١٣ـ ابن ماجه: محمد بن يزيد

ـ سنن ابن ماجة: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

١٤ـ ابن هشام: عبد الملك

ـ السيرة النبوية: تحقيق مصطفى السقّا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٥ـ أبو خليل: شوقي

ـ اليرموك: سلسلة معارك إسلامية حاسمة.

١٦ـ أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني

ـ سنن أبي داود: تحقيق محمد عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ المصاحف: تحقيق محب الدين واعظ، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر. ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٧ـ أبو زهرة: محمد

ـ تاريخ المذاهب الإسلامية: دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م.

١٨ـ أبو هلالة: يوسف

ـ الإعلام اليهودي المعاصر وأثره في الأمة الإسلامية: مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

١٩ـ الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل

ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين: تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ٩ شارع عدلي بالقاهرة، ط١، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.

obeikandl.com

ـ باب الباء ـ

٢٠ـ الباقلاني: أبو بكر بن محمد بن الطيب

ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: تحقيق محمد زاهر بن الحسن الكوثري، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.

٢١ـ البخاري: محمد بن إسماعيل

ـ صحيح البخاري: طبعة بالأوفست عن طبعة دار الكتب العامرة باستنبول، دار الفكر بيروت، لبنان.

٢٢ـ البغدادي: إسماعيل باشا

ـ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون:

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٣ـ البلاذري: أحمد بن يحيى

ـ فتوح البلدان: تحقيق رضوان محمد رضوان، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٩م.

٢٤ـ البيهقي: أحمد بن الحسين

ـ سنن البيهقي: دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ باب التاء ـ

٢٥ـ الترمذي: محمد بن عيسى

ـ سنن الترمذي (الجامع الصحيح): تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٦ـ التل: عبد الله

ـ الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.

ـ باب الجيم ـ

٢٧ـ الجويني: عبد الملك بن عبد الله

ـ لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة: تحقيق د. فوقية حسين محمود، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط١. ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

ـ باب الحاء ـ

٢٨ـ الحاكم: أبو عبد الله النيسابوري

ـ المستدرك على الصحيحين: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٩ـ حتّي: فيليب

ـ سيف الله خالد: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٣٠ـ الحلبي: علي بن برهان الدين

ـ السيرة الحلبية (إنسان العيون): دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣١ـ الحموي: ياقوت بن عبد الله

ـ معجم البلدان: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ باب الخاء ـ

٣٢ـ الخضري: محمد الخضري بك

ـ إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م.

ـ باب الذال ـ

٣٣ـ ذو الرمّة: غيلان بن عقبة العدوي

obeikandi.com

ـ ديوان شعر ذي الرمة: طبعة كلية كمبردج في مطبعة الكلية، ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٩م.

٣٤ـ الذهبي: محمد بن أحمد

ـ سير أعلام النبلاء: تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١٠، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

ـ باب الزاي ـ

٣٥ـ الزركلي: خير الدين

ـ الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين): دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٧، أيار (مايو) ١٩٨٦م.

ـ باب السّين ـ

٣٦ـ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر

ـ الإتقان في علوم القرآن: المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

ـ تاريخ الخلفاء: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الفجالة الجديدة، ط٤، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

ـ باب الشّين ـ

٣٧ـ شرقاوي: عفت

ـ في فلسفة الحضارة الإسلامية: دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م.

٣٨ ـ شعوط: إسماعيل

ـ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ: المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٦، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٩ ـ الشيخ: عبد الستار
ـ علي بن أبي طالب: دار القلم، دمشق، سورية، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

ـ باب الطاء ـ

٤٠ ـ الطبري: محمد بن جرير
ـ تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٤١ ـ الطبري: المحب أبو جعفر أحمد
ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٤٢ ـ طوران: مصطفى
ـ أسرار الانقلاب العثماني: ترجمة كمال خوجة، دار السلام، القاهرة، حلب، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

ـ باب العين ـ

٤٣ ـ عبد الرازق: علي
ـ الإسلام وأصول الحكم (بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام): دار مكتبة الحياة ببيروت، لبنان، ١٩٦٦م.
٤٤ ـ العقّاد: عباس محمود
ـ عبقرية الإمام علي: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.
٤٥ ـ عبقرية خالد بن الوليد: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.

ـ باب القاف ـ

٤٦ ـ القرضاوي: يوسف
ـ الحل الإسلامي فريضة وضرورة: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨م.

obeikandl.com

٤٧ـ القسطلاني: أحمد بن محمد

ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: طبعة جديدة بالأوفست، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٦، بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر المحمية، ١٣٠٤هـ.

ـ باب الميم ـ

٤٨ـ المتقي: علاء الدين علي

ـ منتخب كنز العلماء في سنن الأقوال والأفعال (بهامش مسند الإمام أحمد ابن حنبل)، دار صادر، بيروت، لبنان.

٤٩ـ مسلم: بن الحجاج النيسابوري

ـ صحيح مسلم: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ باب النون ـ

٥٠ - النبهان: محمد فاروق

ـ نظام الحكم في الإسلام: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٥١ـ النسائي: أحمد بن شعيب

ـ سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي: دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٤٨هـ ـ ١٩٣٠م.

٥٢ـ النووي: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف

ـ تهذيب الأسماء واللغات: إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

obeikandi.com

ـ باب الهاء ـ

٥٣ـ الهيثمي: علي بن أبي بكر

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٥٤ـ هيكل: محمد

ـ الفاروق عمر: مطبعة مصر، ١٣٦٤هـ.

ـ باب الواو ـ

٥٥ـ ولي: عبد العزيز نور

ـ أثر التشيّع: دار الخضيري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

المصادر والمراجع الشيعية

ـ باب الألف ـ

١ـ ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله

ـ شرح نهج البلاغة: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٤م.

٢ـ الإربلي: علي بن عيسى

ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة: طبعة دار الأضواء، بيروت، لبنان.

ـ باب الثاء ـ

٣ـ الثقفي: إبراهيم بن محمد

ـ الغارات: أو الاستنفار والغارات: تحقيق عبد الزهراء الحُسيني الخطيب،

obeikandl.com

دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

ـ باب الحاء ـ

٤ـ الحلّي: تقي الدين الحسين بن علي

ـ كتاب الرجال: تحقيق السيد محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

ـ باب الخاء ـ

٥ـ الخوانساري: محمد باقر

ـ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: تحقيق أسد الله إسماعيليان، تهران، ناصر خسرو، باسار مجيدي، قم، خيابان، أرم.

٦ـ خياط: خليفة بن خياط العصفري

ـ تاريخ خليفة بن خياط: تحقيق سهيل زكّار، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٨م.

ـ باب الزاي ـ

٧ـ الزنجاني: أبو عبد الله

ـ تاريخ القرآن: تحقيق الإستاد طه عبد الرؤوف سعد، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة.

ـ باب الشين ـ

ـ ٨ـ الشريف الرضي: محمد بن الحسين

ـ نهج البلاغة بشرح محمد عبده: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

ـ باب الصاد ـ

٨ـ الصدوق: محمد بن بابويه القمّي

ـ معاني الأخبار: تصحيح علي أكبر الغفاري، الناشر: مكتبة الصدوق، طهران، دار العلم، قمْ، مطبعة الحيدري، ١٣٧٩هـ.

ـ باب الطاء ـ

ـ ١٠ـ الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي

ـ الاحتجاج: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٠هـ ـ ١٩٦٣م.

ـ باب القاف ـ

١١ـ القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم

ـ تفسير القمي: دار السرور، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٢ـ القمّي: سعد بن عبد الله أبو خلف الأشعري

ـ المقالات والفرق: صححه وقدّم له وعلق عليه د. محمد جواد مشكور، طهران، شارع ناصر خسرو، مطبعة حيدري، ١٩٦٣م.

ـ باب الميم ـ

١٣ـ المامقاني: عبد الله بن محمد حسن

ـ تنقيح المقال في نقد الرجال: طبعة النجف، ١٣٥٢هـ.

١٤ـ المفيد: محمد بن النعمان

ـ الإرشاد: منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الأشرف، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م.

ـ الفصول المختارة من العيون والمحاسن: دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

obeikandl.com

١٥ـ النوبختي: الحسن بن موسى
ـ فرق الشيعة: دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٢٥م.

مصادر متفرقة

١ـ الأسس الشرعية لنظام الخلافة الإسلامية: من منشورات حزب التحرير، ٢٧، رجب، ١٣٤٢هـ ـ ١٣ آذار ١٩٢٤م.
٢ـ دائرة المعارف الإسلامية:
٣ـ مجلة الفكر الإسلامي: العدد الخامس، السنة العاشرة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨١م.
٤ـ الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

obeikandl.com